348

HARLEQUIN

روايات أحلام

لن تبوح

هيلين بيانشين

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

لن تبوح

حين ذهبت أريان سيليست ، المراسلة التلفزيونية ، لمقابلة الإسباني مانولو ديل غواردو ، الثري المطلق ، لم تكن تتوقع أنه سيعرض عليها صفقة موضوعها طفلة في الشهر السادس من عمرها .

- ما رأيك بأن تختاري مهنة أخرى !

- مهنة أخرى ! مثل ماذا ؟

- الزواج مثلاً . ابنتي تحتاج أما وأنا أعرض عليك هذا المنصب .. مجرد التفكير فيه كزوج جعل نبض أريان يتسارع ... فكيف تقبل الزواج من رجل لن يقول لها أبداً : "أحبك" !

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10درهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-261-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V
كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Spaniard's Baby Bargain
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Helen Bianchin 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 261 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

هيلين بيانشين

ولدت هيلين في نيوزيلندا وسافرت إلى أستراليا قبل أن تتزوج من زوجها الإيطالي الأصل. بعد مضي ثلاث سنوات على زواجهما عادا برفقة ابنتهما إلى نيوزيلندا حيث أنجبا صبيّين. ثم عادت العائلة لتستقرّ في استراليا. شجّعها بعض الأصدقاء على الكتابة عن المواقف الطريفة التي واجهتها في الفترة التي عاشت فيها كزوجة صاحب مزرعة لانتاج النبغ، في مجتمع إيطالي. هكذا بدأت هيلين حياتها ككاتبة روائية وصدر كتابها الأول سنة ١٩٧٥.

تحب هيلين الحيوانات وتمتلك كلبة وهرة يعتبران مكتبها ملعباً لهما.

تهوى المؤلفة الشهيرة هيلين بيانشين الكتابة عن التوتر العاطفي بين الأزواج بما فيه من شغف وصراع ورومنسية! وغالباً ما يكون الزواج موضوع قصصها!

١ ـ سيد القصر

دفع مانولو الحساب لسائق سيارة الأجرة، ثم جمع حقائبه وصعد السلم المؤدي إلى المدخل الرئيسي لقصره القائم قبالة المرفأ في بونت بيبر في ضواحي سيدني.

ـ مساء الخير يا مانولو... تسرني عودتك إلى المنزل.

يا له من استقبال! فالاضطراب الشديد يعم المنزل، بعد أن قررت المربية الرحيل، وهي الثالثة في غضون أشهر قليلة. وفي غضون ساعة، يتوقع أن تصل الصحفية والمصور اللذين سيعدان برنامجاً وثائقياً عنه خلال عطلة نهاية الأسبوع.. وثائقي وافق مانولو على تسجيله منذ شهر..

ـ شكراً سانتوس.

شكر مانولو الرئيس السابق للطهاة الذي عمل في خدمته على مدى سنوات طويلة، تولى خلالها مهاماً مختلفة في المنزل. وابتسم له ابتسامة عريضة، وقبل أن يهم بالدخول إلى الدار الفسيحة، سأله: «ما الذي حصل هذه المرة بحق الله؟».

أجابه الخادم: «بدأت أسنان كريستينا تنبت، فاستاءت المربية أشد الاستياء من قلة النوم».

مرر مانولو أصابعه في شعره متململاً وسأله من جديد: «أين هي الآن؟».

رد سانتوس بتهكم: «توضب حقائبها».

ـ هل وجدت مربية بديلة؟

- بذلت جهدي. . . ولكن نظراً لسجلنا الحافل مع المربيات، نعذر على الوكالة إيجاد شخص مؤهل لملء هذه الوظيفة، في الوقت الحالي، وعلينا الانتظار إلى الأسبوع المقبل.

- اللعنة!

جاءت شتيمته مفعمة بالحدة فرفع سانتوس حاجبه وقال: «هذا ما شعرت به تماماً».

عليه أن يجد مخرجاً لهذه الورطة مهما كلف الأمر. . والخيارات المتاحة أمامه ليست كثيرة.

- وماريا؟

اعتادت مدبرة المنزل أن تحضر خمسة أيام في الأسبوع، إلا أنها تغادر عند الساعة الرابعة من بعد ظهر كل يوم لتهتم بشؤون عائلتها الكبيرة.

- وعدتني بأن تعمل ساعات إضافية إلى أن نجد حلاً لهذه المشكلة.

- هل من رسائل لي؟

كان سؤاله روتينياً صرفاً، لأن الرسائل الهامة تصله عبر هاتفه الخليوي وبريده الإلكتروني.

- وضعت الرسائل والبريد في مكانها المعتاد. . سيكون العشاء جاهزاً خلال نصف ساعة.

أراد مانولو أن يحلق ذقنه ويستحم ويرتدي ملابسه ويتناول عشاءه قبل وصول الفريق التلفزيوني. ولكن عليه قبل كل شيء، أن يرى طفلته الصغيرة وينهي المسائل العالقة مع المربية.

كبت رغبة جامحة اجتاحته بتقطيب جبينه وهز كتفيه استهجاناً. اللعنة! فبعد تلك الرحلة الدولية الطويلة، قلما يرغب بتبادل الأحاديث السطحية مع إحدى الصحفيات.

ما الذي دفعه منذ البداية ليوافق على هذا الفيلم الوثائقي عن حياته الشخصية!!

لعله يراهن على إظهار أعماله الخيرية المفضلة في صورة جميلة. . أم ربما يتوق إلى التعرف على ريان سليست، الصحفية التي ستحاوره. . وهي شقراء ناعمة القد في أواخر عقدها الثاني، تثير شخصيتها التلفزيونية فضوله!

وضع مانولو رجله على الدرجة الأولى من السلم، رافعاً بصره إلى الأعلى فرأى المربية تنزل مسرعة. . تسمر عندها في مكانه منتظراً لتصبح على مقربة منه، وراح يتأمل ملامحها بدقة، وقد أدرك بأنها يافعة ويافعة جداً.

- أتوافقين على البقاء إلى أن أجد مربية بديلة إن أعطيتك علاوة؟

- كلا.

أراد أن يصر عليها ويعاملها معاملة رب العمل لأجيره لافتاً انتباهها إلى ضرورة أن تنذره برحيلها قبل أسبوع على الأقل. . . ولكنه لم يشأ أن يبقي في منزله شخصاً يشعر بالامتعاض من الاعتناء بطفلته كريستينا.

- سيطلب لك سانتوس سيارة أجرة. . وسأرسل لك الشيك إلى الوكالة.

- شكراً لك.

خلا ردها المقتضب من التهذيب، فرمقها سانتوس بنظرة عابسة لم تخف على مانولو، إلا أنه تجاهلها واستدار يصعد السلالم.

كان صراخ ابنته يزداد حدة كلما اقترب من الطابق العلوي فأحس كأن يداً تقبض على قلبه وتعتصره وهو يدخل إلى غرفة نومها. بدا وجهها الصغير شديد الاحمرار من شدة الصراخ وشعرها الداكن رطباً لكثرة ما بذلت من جهد. . والأسوأ من ذلك أنها تغوطت في حفاضها، وراحت تلوح برجليها في الهواء معترضة.

- طفلتي المسكينة!

خيم الصمت على الغرفة لثوانٍ قليلة، عقبه صراخ أكثر حدة، ما لبث

www.elromancia.com

أن تلاشى لتحل محله الحازوقة.

ـ طفلتي المسكينة!

أراد مانولو أن يهدىء من روعها فرفعها من سريرها وحملها بين ذراعيه برقة: «اهدئي حبيبتي، سوف أعتني بك».

وبرشاقة بالغة، تخلص من سبب محنتها، على أمل أن يتلاشى الحزن الذين ملأ تينك العينين الداكنتين المغرورقتين بالدموع.. عينان ورثتهما عنه، مع أنها ورثت الكثير من ملامح زوجته الراحلة.. تلك المرأة التي لجأت إلى أكثر الحيل خبثاً لتحمل اسمه، فتلاعبت عمداً بوسائل الحمل لتحمل طفلاً منه..

وعلى الرغم من كل ما جرى، لم يخيل إليه يوماً أن الهدف الوحيد من حملها هو ابتزازه مادياً والتمتع بالرخاء طوال حياتها. وعندما تبين له أن جنيناً من صلبه وقع ضحية مؤامرة والدته، ثارت حفيظته وقدم لإيفون عرضاً لم يستطع تفكيرها الجشع رفضه.. فجمعهما الرباط المقدس بعد أن أثبت أبوته للجنين، من خلال اختبار الخصائص الجينية. وما هي إلا فترة زمنية قصيرة جداً، حتى وافقت على التنازل عن حضانة الطفلة له وحده، وتوقيع معاملات الطلاق مقابل عقد اتفاق قانوني معاً.. اتفاق وقعت عليه اسمها بسرعة أثارت اشمئزازه..

ولا شك أن إيفون جنت ثمار العدالة الإلهية.. فبعد مرور شهر على ولادة كريستينا اتصلوا به في نيويورك ليبلغوه بمقتلها في حادث سير مروع، فيما كانت عائدة فجراً من إحدى السهرات الصاخبة.. ولقي الرجل الذي كان يرافقها المصير عينه. فاستقل مانولو أول طائرة وعاد إلى دياره، يلملم شتات الموضوع ويضع حداً للشائعات التي أخذت وسائل الإعلام تتناقلها.. ثم استخدم مربية جديدة كانت الثانية من أصل أربعة في غضون خمسة أشهر.

أطلقت الطفلة الصغيرة صرخة مروعة، وتمسكت به بقبضتها

الصغيرة:

ـ هل أنت جائعة يا صغيرتي؟

تناسى مانولو مشاغله ووجد نفسه مرغماً على تلبية مطالبها.. فتوجه نحو الثلاجة الصغيرة بحثاً عن زجاجات الحليب.. وكم شعر بالارتياح حين وجد زجاجات جاهزة من الغذاء البديل عن الحليب. فأخذ واحدة ووضعها بضع ثوان في الميكروويف لتسخن، ثم ارتمى في كرسي هزاز وبدأ يطعم ابنته التي أمسكت الزجاجة بنهم وقد بلغ منها الجوع مبلغاً.

ـ أتحتاج إلى المساعدة؟

التقت عينا مانولو بنظرات سانتوس الحذرة، فرفع حاجبه تهكماً وقال له بنبرة ساخرة: «ماذا تقترح؟».

يشهد تاريخهما معاً على ثقة مطلقة متبادلة.. فمع أن مانولو هو رب العمل وسانتوس مجرد خادم عنده إلا أن صداقتهما تعود إلى يوم كان مانولو مراهقاً، حيث قضى فترة مراهقته في حي نيويوركي قذر، تعد فيه القدرة على الدفاع عن النفس من الأولويات...

صحيح أنه ليس فخوراً بتلك المرحلة من حياته إلا أنها ساهمت في بناء شخصيته الحالية، شخصية تتميز بالقساوة والجسارة والقدرة على تحدي المصاعب... إذ شغل خلال متابعته دراسته ثلاث وظائف، حارماً نفسه من متعة النوم والراحة، وجمع مع بلوغه العشرين، الملايين الأول الذي أصبح أضعافاً مضاعفة خلال السنوات الخمس عشرة التالية.

لا أحد يجرؤ على العبث معه من دون أن يدفع الثمن. أما الحب فلم يعرف طريقه إلى قلبه، خلال مراحل حياته كافة.

نظر مانولو إلى ساعته، وكبت تكشيرة كادت ترتسم على وجهه.. لم يتبق أمامه إلا خمس عشرة دقيقة ليحلق ذقنه، ويستحم ويتناول عشاءه.. وهذا يعني أنه سيتأخر حتماً عن موعده!

قال له سانتوس بلطف: «سأستقبل عضوي الفريق التلفزيوني عند

وصولهما، وأرشدهما إلى غرفتيهما ثم أقدم لهما شراباً ريثما تصل».

من البديهي أن يحيط الأثرياء أملاكهم بأجهزة حماية مختلفة. ولكن أليس هناك مبالغة في تلك البوابات الحديدية العالية الملاصقة لجدران من الإسمنت توازيها طولاً، والتي تعلوها آلة تصوير للمراقبة؟ أم لعل مانولو ديل غاردو لجأ إلى هذه الوسائل المتطورة لأسباب شخصية؟

- من هو هذا الرجل؟

- إنه أحد أشهر رجال الأعمال.

- أرى أنك أنجزت عملك جيداً.

جاء رده سريعاً فيما كانت السيارة تتوقف أمام البوابات المهيبة.

- هل سبق لي أن أهملت عملي؟

كانت ريان تعرف تماماً من هو مانولو ديل غاردو، فقد أعدت ملفاً عنه فضلاً عن مجموعة من الأسئلة التي تتوقع أن يثير بعضها ردات فعل عنيفة وقوية.

فالهدف الأساسي من هذه المقابلة هو التنقيب في الأعماق والنفاذ بشكل استفزازي إلى جوهر حياة المشاهير وأصحاب المقامات المرموقة. ربما كان البعض مشهوراً ولا يتمتع بمقام مرموق أو العكس ولكن مانولو ديل غاردو جمع الإثنين معاً.

قال طوني وهو ينزع حزام الأمان: «حسناً.. هيا بنا».

يا لها من وسائل أمنية متطورة وحديثة! قالت ريان ذلك في سرها وهي تراقب طوني يبرز بطاقة هويته وإجازة سوقه للتحقق منهما. وقبل أن يعود إلى خلف المقود، تناهى إلى مسمعها صوت آتٍ من مكان مجهول ثم فتحت الأبواب بصورة الكترونية متقنة.

كان ضوء النهار الساطع يظهر روعة الدرب المتعرج الذي تحيط به من الجانبين أحواض الأزهار الملونة، والمروج الخضراء المقلمة والجنبات المشذبة.

حاولت ريان أن تكبت دهشتها وهي ترى المشهد الجميل الممتد أمام قصر ديل غاردو الشاهق... فالمعلومات التي جمعتها تؤكد أن مانولو اشترى الأرض لأنها تطل على مرفأ سيدني، وهذا المنزل القائم عليها ليبني له قصراً... قصر صمم بأسلوب فرنسي كلاسيكي يذكر بزمن نابوليون الأول، ولا يعكس جذوره الإسبانية بتاتاً.

كم كانت ريان تتمنى أن تصوره من الخارج، إلا أن ديل غاردو أصر عليهما عند موافقته على هذا الوثائقي أن يكتفيا بالتقاط صور له من الداخل فحسب، على أن لا تنشر أي منها، قبل أن يوافق مانولو ديل غاردو عليها شخصياً. من يخال نفسه؟

سألها طوني وهو يعبر بالسيارة ببطء أمام الباب الرئيسي: «أين تقترحين علي أن أركن سيارتي؟».

وفتح في تلك اللحظة الباب الخشبي الكبير المزدان بالنقوش وخرج منه خادم أنيق المظهر: «مساء الخير.. أدعى سانتوس».

بدت نبرة صوته جافة تشوبها لكنة خفيفة: «يستحسن أن تتابعا طريقكما نحو مدخل الخدم، وسأوافيكما عند الباب. يمكنكما إنزال معداتكما ووضعها في المخزن».

واستدار عائداً من حيث أتى من دون أن يضيف كلمة أخرى، وأقفل الباب الكبير خلفه.

علق طوني فيما كان ينعطف بسيارته: «أظنه أطلعنا بطريقة مهذبة على مكانتنا».

نقلا معداتهما وحقائبهما إلى المنزل ثم لحقا بسانتوس إلى البهو الرئيسي. وقفا مذهولين أمام الأرض الرخامية التي فرش عليها سجاد شرقي فاخر، والقطع الأثرية واللوحات الزيتية الأصلية، والأثاث المترف والسقوف العالية ذات القناطر التي تتدلى منها ثريا بلورية تخطف الأنفاس، والسلم العريض المتعرج الذي يؤدي إلى الطابق العلوي.

أما الدرابزين فكان تحفة فنية بحد ذاته، إذ صمم من الحديد المزخرف وتوج بخشب الماهوغاني الداكن.

من المؤكد أن الغرف تعكس كلها تجهيزات هائلة، وأثنت ريان على ذوق صاحب القصر، أم لعل الفضل يعود لمهندس الديكور؟

قال سانتوس فيما كان يتوجه نحو السلم: «سأرشدكما إلى غرفتيكما».

ثم أشار بيده نحو مدخل إلى يساره وأضاف: «سيقابلكم السيد ديل غاردو في غضون خمس عشرة دقيقة. أرجو منكما أن تنتجعا في الردهة غير الرسمية».

رسمية.. غير رسمية.. غرفة جلوس للجلسات الحميمة... كل شيء ممكن في هذا القصر الشاسع.

ـ علينا أن نجتمع؟ ولكن عددنا لا يتجاوز الإثنين وفريقنا ليس بالكبير.

كانت درجات السلم من المرمر، وتؤدي إلى بهو مغطى ببلاط مربع وردهة دائرية الشكل. وتساءلت ريان إن كانت الأجنحة الخاصة إلى اليمين، وغرف الضيوف إلى اليسار. لكنها ما لبثت أن أدركت ريان أن العكس صحيح، إذ قادهما سانتوس إلى جناح يضاهي أجنحة أهم الفنادق فخامة. جناح امتزجت فيه الألوان الزاهية الخفيفة بإتقان، وغطت أرضه سجادة خضراء مائلة إلى اللون الرمادي، وضم مجموعة من الأثاث من خشب الماهوغاني فضلاً عن سرير كبير ومكتب صغير وضع عليه هاتف وجهاز تلفزيون.

كان جناح طوني مجاوراً لجناحها ويوازيه فخامة مع اختلاف بسيط في الألوان التي تفاوتت ما بين البني والتبني.

ـ أظن أن إقامتكما ستكون مريحة جداً.

أخذ طوني يصفر إعجاباً فابتسم خادم مانولو ديل غاردو ابتسامة

ساخرة وتابع يقول: «يمكنكما أن تفرغا حقائبكما. سأعد لكما شراباً منعشاً في غرفة الجلوس غير الرسمية».

قال لها طوني بصوت خافت بعد أن تأكد من أن سانتوس أصبح بعيداً عن مرمى السمع: «هذا المكان ينم عن ثراء فاحش».

فأجابته ريان على الفور:

ـ ولكن الغموض يلف مصدره الأساسي.

ـ وأظنك تنوين أن ترفعي النقاب عنه!

ـ إن حالفني الحظ.

نظرت إلى ساعتها ورمته بابتسامة واهية مضيفة: «أمامنا إحدى عشرة دقيقة فحسب لنوضب أمتعتنا. أراك بعد عشر دقائق».

لم تجد صعوبة في إفراغ حقيبتها لأنها اعتادت أن تحمل معها خلال سفرها حاجاتها الضرورية فحسب. ألقت نظرة سريعة على المرآة، فراقت لها صورتها فيها بشعرها المصفف بعناية وشفتيها اللتين يعلوهما لون أحمر خفيف. ولم تجد من داع لتصلح مظهرها.

أثار طنين هاتفها الخليوي سخطها كالمعتاد. يا لهذا التوقيت! شعرت بالاشمئزاز، وتركت الرسالة تدخل في صندوق الرسائل الواردة، مذعنة لنصيحة حدسها الذي كان يلح عليها لتتجاهلها. إنها النصيحة عينها التي سمعتها من محاميها، وصادقت عليها المحكمة الشرعية ودخلت موضع التنفيذ من خلال أمر التوقيف الذي صدر بحق رجل نجح في تحويل حياتها إلى جحيم من خلال سلوكه غير المتزن.

رجل نجح بامتياز في إخفاء اضطرابه الذهني عنها خلال فترة خروجهما معاً، إلا أنه ما لبث أن أظهره لها خلال شهر عسلهما. فقد كان توقه الشديد لإنجاب الأطفال يضاهي توقها، ولكنها لم تتوقع أن يشعر بخيبة أمل كبيرة حين أدرك أنها لم تحمل بسرعة. فبدأ يستخف بقدراتها كحبيبة ويوجه لها اتهامات قاسية بالعقم. وما زاد الطين بلة أن

شكوكه كانت في محلها، إذ أجمع الأطباء على أنها عاقر.

استشاط روجر غضباً عند سماعه التشخيص، فكانت تلك الشعرة التي قصمت ظهر البعير. وجدت ريان نفسها مرغمة على مغادرة المنزل والانتقال إلى شقة أخرى والبدء بمعاملات الطلاق. وبدلاً من أن يجعلها ذلك في منأى عن خط النار باتت ريان في الواجهة، وتحولت حياتها إلى كابوس كثرت فيه المواجهات والاتصالات البذيئة. اتصالات بقيت منتظمة على الرغم من صدور حكم الطلاق الذي زاد ثورة روجر عليها تأججاً.

صحيح أن المواجهات خفت مع مرور الزمن، إلا أن الرسائل الهاتفية استمرت مع أن ريان عمدت إلى تغيير رقم هاتفها الخليوي مرات عدة، وكأن زوجها السابق أراد أن يثبت لها قدرته على تجاوز إجراءاتها الأمنية.

كانت رسالته مقتضبة هذه المرة، إلا أنها أحست بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري. كيف عرف مكانها وتفاصيل إقامتها؟

وجاءها الرد على تساؤلاتها سريعاً. فمن السهل أن يعرف روجر هذه الأمور كلها إن لجأ إلى أساليبه الملتوية، وتجاوز الأجهزة الأمنية في شركة التلفزيون التي تعمل فيها، والحق يقال أن روجر قادر على القيام بذلك وإحدى يديه مقيدة خلف ظهره.

ـ جاهزة؟

أيقظها صوت طوني من شرودها فرسمت على شفتيها ابتسامة ناعمة وحملت محفظتها الجلدية ثم أجابت: «أجل!».

عليها أن تحصر تفكيرها بمهمتها الحالية... لحقت بالمصور عبر الممر وهي تتمايل في مشيتها متجهة إلى أعلى السلم، لتنزل بعدها إلى الطابق السفلي.

أشار طوني بيده قائلاً: «إلى اليمين».

فهزت رأسها بالموافقة وأجابت: «فهمت».

أخذت ريان تحث نفسها على التركيز، وهي تحاول أن تلملم شتات أفكارها لترسم على ثغرها ابتسامة جديدة مهذبة.

مانولو ديل غاردو!

صحيح أنها رأت صوره في الصحف وعلى صفحات المجلات الاجتماعية، وقرأت تفاصيل حياته المعلنة محاولة التنقيب عن خفاياها، غير أنها لم تكن مستعدة لمواجهة حضور هذا الرجل الجسدي، أو ردة فعلها تجاهه.

بدا طويل القامة، ذا بنية قوية شبيهة ببنية المحاربين، فقوته الجسدية بدت جلية خلف بنطلونه الأسود وقميصه الداكن اللون. كما لفت انتباهها حذاؤه الثمين والساعة الباهظة الثمن التي تزين معصمه. أما شعره المصفف بعناية فكان يحاكي عينيه سواداً، وملامح وجهه المنحوتة بشكل بارز تدين بالكثير لجذوره الإسبانية. ولعل أكثر ما جذبها إليه هو الغموض الذي يلفه. فهذا الرجل الذي عانى الكثير وقاسى الكثير، بنى حول نفسه حاجزاً من الصعب أن يجتازه المتطفلون على حياته الشخصية. وفي مطلق الأحوال بدا مانولو ديل غاردو أشبه بحيوان مفترس في غاية الخطورة...

بذلت قصارى جهدها لتكبت القشعريرة التي عرفت طريقها إلى أوصالها فيما كان يتوجه نحوها.

ـ ريان سيليست.

أحست بضرورة أن تكون البادئة بالكلام. فاستجمعت قواها وابتسمت له ابتسامة مقتضبة وهي تشير إلى المصور الواقف إلى جانبها:

ـ طوني دي ماركو.

ومدت يدها لتصافحه وهي تقاوم الرغبة الجامحة التي تملكتها بحبس أنفاسها، فيما راح يشد على يدها بقوة قبل أن يفلتها ويلتفت نحو طوني

محياً.

وكم كانت دهشتها عظيمة حين أحست بالدماء تجري حارة في عروقها، يرافقها إحساس بالإثارة يسري بشكل لولبي في أعماقها. إنها ليست معتادة على هذا المزيج من المشاعر.. كبحت جماحها وتسلحت بقناع الجدية.

ـ أود أن أشكرك على دعوتك لنا إلى منزلك.

رفع حاجبه تهكماً: «أظن أنك صاحبة الاقتراح».

حملت كلماته لكنة نيويوركية واضحة. فقد كشفت الأبحاث التي قامت بها أنه ولد في برونكس من أم عزباء اعتنت به حتى بلوغه سن المراهقة، حين خطفها منه مرض السرطان الخبيث، فتركته وحيداً.

لا شك أن قصة نجاحه أشبه بالأسطورة، واهتمامه بالأعمال الإنسانية يحتل مكانة مرموقة على جدول أعماله. ومع دنوه من العقد الرابع بات ديل غاردو يملك منازل في عواصم عدة في العالم، بما فيها سيدني التي اختارها كمقر له خلال السنوات الخمس الأخيرة.

أجابت ريان بتهذيب بالغ: «وأظنك وافقت عليه».

ـ لكنني وضعت بعض الشروط، إن لم أكن مخطئاً!

ـ طبعاً. وأنا أنوي التقيد بها.

أحنى مانولو دي غاردو رأسه قليلاً ثم مد يده مشيراً إلى المقاعد الجلدية الوثيرة وقال: «تفضلا بالجلوس. أتريدان شراباً ساخناً أم عصيراً؟».

كانت رائحة البن الطازج تعبق في أنفها.

ـ أفضل فنجاناً من القهوة، من دون حليب، مع ملعقة واحدة من السكر.

أضاف طوني بدوره: «وأنا أيضاً».

اخترقت نظرات مانولو ديل غاردو الثاقبة دفاعاتها فجازفت بالقول

بنبرة اتسمت بالرقة: «سنرجىء العصير البارد إلى مساء الغد، لأنني قد أحتاج إليه حينها».

أتراها لمحت طيف ابتسامة أم أن زاوية فمه التوت قليلاً؟

ـ أتتوقعين أن أكون صعب المراس؟.

كم هو لطيف.. لطيف فعلاً! ويقف على بعد ثلاث خطوات منها فحسب.

ـ من واجبي أن أعد وثائقياً تثقيفياً مثيراً. يتناول بشكل مفصل ترقيك سلم المجد درجة درجة، ويسلط الضوء على الرجل الذي أصبحت عليه اليوم.

ـ ثلاثون دقيقة... مقتطعة من ٢٤ ساعة من التصوير؟

إنه يجيد التهكم، لا بأس! فهي ليست سيئة في ذلك أيضاً.

ـ آمل أن ننهي التصوير في غضون ١٢ ساعة.

صب مانولو ديل غاردو القهوة، وأضاف إليها السكر ثم قدمها إليهما وجلس في الكرسي المقابل.

ـ ما رأيك يا ريان لو تعطيني لمحة موجزة عن الأسئلة التي تنوين طرحها؟

أثار رنين اسمها على شفتيه قشعريرة في جسمها، فأنبت نفسها في سرها أشد التأنيب، وقد بلغ الاشمئزاز منها مبلغاً، وبذلت جهداً لتسيطر على أعصابها. ثم سحبت نسختين مطبوعتين من حقيبتها الجلدية وناولته واحدة. وعلقت الأخرى باللوح المشبكي وجلست والقلم في يدها.

ـ لمحة شفهية يا ريان.

وعادت تلك القشعريرة تسري في أوصالها... ما تراها تكون ردة فعله إن تخلت هي أيضاً عن المجاملات وناداته مانولو؟

تباً له! إن كان يحاول استفزازها!!

ـ أتفضل أن نتخلى عن الشكليات ونكتفي بالاسم الأول؟

www.elromancia.com

أفضل ما تقوم به هو أن تعامله بالمثل.

ـ بما أننا سنبقى متلازمين خلال اليومين المقبلين، أظن أن التخلي عن الرسميات يساعد على التخفيف من حدة أي توتر قد ينشأ لاحقاً، ألا تظنين ذلك؟

أجل، صحيح.. لا يمكن لأحد أن يشعر بالارتياح عندما يكون بالقرب من مخلوق مفترس، حيواناً كان أم إنساناً. وأحست غريزياً بخطورة مانولو ديل غاردو..

ـ حسبتك استلمت نسخة خطية موجزة قبل الموافقة على تصوير البرنامج.

وحاولت التخفيف من حدة كلماتها فرسمت على ثغرها ابتسامة استرخاء وأضافت: «ولكن يسعدني أن ألخصها لك ثانية».

وقامت بذلك بمهارة بالغة من دون أن تتلعثم ولو لمرة واحدة. وعندما انتهت قابلت نظراته الثاقبة برباطة جأش وسألته: «هل كان ذلك وافياً؟».

ـ نعم.. في الوقت الحالي.

وهبّ واقفاً برشاقة: «أرجو منكما أن تعذراني، إذ علي أن أنجز بعض الأعمال. يمكنكما أن تتناولا المزيد من القهوة أو تشاهدا التلفزيون في قاعة التسلية المجاورة لهذه الغرفة. سوف تجدون فيها مجموعة من الاسطوانات والأفلام أيضاً».

وأحنى رأسه احتراماً لطوني، ثم التفت نحو ريان وتباطأ أكثر مما ينبغي ثم قال: «يقدم سانتوس الفطور عند الثامنة».

وغادر الغرفة، وقد بدا واضحاً أنه يسيطر على الوضع سيطرة تامة.

أقرت ريان في سرها بأنه خطير.. وخطير جداً.

ـ أتصدقين بأنه أطلق يدنا في العمل؟

يا لنقد طوني اللاذع!

ـ أظنك تمزح، أليس كذلك؟

وتوجهت نحو الخزانة الصغيرة.

ـ هل تريد المزيد من القهوة؟

ملأت كوبها من جديد وأضافت إليه السكر، ثم التفتت لتواجه المصور.

في السنوات الماضية، عملا معاً في مهمات مختلفة، وجمعتهما صداقة حميمة ترتكز على احترام الواحد منهما لموهبة الآخر.

ـ لا، شكراً.

ثم نظر إلى ساعته وأضاف: «أتريدين أن نضع لمسات أخيرة على الموضوع قبل أن نخلد إلى النوم؟».

حدّقت به من فوق حافة كوبها: «أريد أن أقدم عملاً محكماً خالياً من الأخطاء والتفاهات».

ـ أعمالك كلها تخلو من التفاهات.

هذا صحيح، فريان تدرك تماماً قدرتها على سبر أغوار الأمور ورفع النقاب عن حقيقتها. لكن لمَ يخالجها إحساس غريب بأن مانولو ديل غاردو سيتولى إدارة دفة المقابلة، وليس هي؟

ارتشفت الجرعة الأخيرة من فنجانها، ووضعت الكوب على الطاولة وقالت: «حسناً.. هيا بنا لننام باكراً».

عليها أن تتحلى بكامل نضارتها ويقظتها في الغد.

حذرها حدسها من أن اللعب على الكلمات مع مانولو ديل غاردو لن يكون سهلاً إلى هذا الحد. لذا عليها أن تراجع ملاحظاتها من جديد، وتتفحص بعض الزوايا، وتضبط الأسئلة بإحكام.

خرجت ريان من الغرفة قبل طوني، ثم مشت إلى جانبه وهما يصعدان السلم المؤدي إلى الطابق العلوي.

ـ أراك عند الفطور.

وابتسم لها ابتسامة واهية، فيما كانا يقفان أمام بابي غرفتيهما المجاورتين.

ـ استرخي. ستسير الأمور على ما يرام.

رمته بنظرة ساخرة: «أتعني الفطور؟».

افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ثم قال: «نوماً هنيئاً».

في العادة، كان النعاس يعرف سبيله إلى جفونها بسهولة. استحمت على مهل، وأمضت بعدها قرابة الساعة تراجع ملاحظاتها علّ ذلك يخفف قليلاً من حدة توترها، ولكن من دون جدوى.

أطفأت المصباح المجاور لسريرها، وقد عقدت عزمها على أن تنعم بليلة هانئة. وفي ظلمة الغرفة، ظل مانولو ديل غاردو والسيناريوهات التي قد يحملها الغد محور أفكارها. فمن الصعب ألا يستحوذ الرجل نفسه على ذهنها بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وملامح وجهه القاسية وفكه القوي وفمه المثير.

أما الذبذبات الكهربائية التي هزت بدنها.. فما سببها بحق الله؟

٢ ـ وافلتت من براثنه...

فتحت ريان عينيها لتجد أنها تتصبب عرقاً وقد ساورها حلم مزعج أثر فيها بشكل فظيع، وتركها فريسة للخوف. تناهى إلى مسمعها صراخ طفل، لكنها لم تستطع أن تحدد ما إذا كان ذلك حقيقة أم خيال.

مكثت في سريرها بضع دقائق ثم نظرت إلى ساعتها وفضلت أن تنهض لتستحم وترتدي ملابسها. كان الوقت مبكراً إلا أنها وجدت الفرصة ملائمة لتعيد قراءة سيرة حياة مانولو ديل غاردو الشخصية، وتتحقق من بعض التفاصيل التي وضعت خطاً عريضاً تحتها بغية التنقيب بعمق أكثر في ماضيه، ثم تنزل لتتناول طعام الفطور في الوقت المحدد.

عند نزولها من غرفتها بعد مضي ساعة ونصف تقريباً وجدت غرفة الطعام خالية. كانت الطاولة مهيأة لشخص واحد، وقد وضع على صينية أنيقة طبق مغطى وإبريق من القهوة وآخر من عصير البرتقال. ورأت على مقربة منها جريدة الصباح مطوية بعناية فأخذتها وراحت تتصفحها وهي تتناول طعامها. وعندما أنهت فطورها، عادت إلى جناحها لتصلح زينتها وتجمع ملاحظاتها.

دخلت إلى الردهة غير الرسمية، وهي تعي بأنه لم يتبق إلا خمس دقائق ليبدأ العرض، فوجدت طوني يعاين المعدات السمعية وقد وضع جهاز التسجيل في حالة تأهب.

ـ مرحباً.

رماها بنظرة عجلى وعاد يتابع عمله.

www.elromancia.com

ـ هل نمت جيداً؟

ـ لا بأس.

لم تجد من داعٍ للاعتراف أمامه بأنها عانت من الأرق خلال الليل.

ـ وأنت؟

ـ نعم. استيقظت باكراً وقمت ببعض التمارين في حجرة الألعاب الرياضية، وبعدئذٍ سبحت في حوض السباحة الداخلي.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وأضاف: «أعطاني سانتوس الإذن».

حجرة الألعاب الرياضية؟ هذا ممكن. ولكن حوض سباحة داخلي! عليها أن تستغل هذه الفرصة وتدلل نفسها قليلاً لتستعيد رباطة جأشها بعد أن تقضي النهار بطوله تتحايل على مانولو ديل غاردو ليجيب على أسئلتها.

ـ إنه شيء مؤثر!

رفع طوني حاجبيه تهكماً: «هل تقصدين نشاطي الصباحي؟».

ـ وهذا أيضاً.

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن ترد على ضحكته الناعمة بابتسامة ملائمة، ابتسامة لم تلبث أن ماتت على شفتيها لدى سماعها طنين هاتفها الخليوي معلناً ورود رسالة جديدة لها.

لا شك أنها مسألة تتعلق بالعمل. وعلى الرغم من ذلك، أحست بعضلات معدتها تتقلص من شدة التوتر، وهي تقرأ نصها: «هل كان بارعاً في السرير يا عزيزتي؟».

توضحت لها الصورة. إنه يكثف حملته التي لن تعرف نهاية، لتبلغ حد المطاردة والإزعاج المستمر. أليس ما لديه ما يفعله سوى ذلك؟

يا له من سؤال سخيف! فهي تستحوذ على أفكاره، وتشكل مصدر أوهامه. وبما أن ذكاؤه الحاد يساعده على الاحتيال على النظام القانوني فهو لا يتوانى عن التطفل على حياتها يومياً، ويتواجد حيثما تواجدت من

دون أن يحرك ساكناً. فهي تراه بين رواد مقهى قصدته برفقة صديقة لها لتشرب القهوة، وفي مطعم اختارته لتتناول عشاءها فيه، وفي المتجر، وفي السينما. لكنه لا يحاول التقرب منها أبداً، بل يحرص على أن يشعرها بحضوره.

تصرفاته تثير سخطها وتدفعها إلى حافة الجنون، وكأن الهدف منها بلوغ هذه النقطة بالذات.

ـ هل من مشاكل؟

محت الرسالة عن هاتفها قائلة: «لا بأس يمكنني معالجتها».

لم يبدُ الاقتناع على وجه طوني فرمته بابتسامة مطمئنة: «أؤكد لك ذلك».

ثم نظرت إلى ساعتها وأضافت: «اتفقنا أن نبدأ في الساعة التاسعة، أليس كذلك؟».

ـ هذا صحيح.

حملت نبرة صوته شيئاً من الدعابة الساخرة وهو يتابع: «ولكنني لم أخل أننا سنلتزم بجدول أعمال صارم».

وقف مضيفهما وموضوع مقابلتهما عند عتبة الباب. بدا عليه الارتياح في بنطلونه الأسود الأنيق وقميصه القطني الأبيض المفتوح عند أعلى صدره، وقد رفع كمي قميصه حتى ظهر ساعداه القويان. مشى نحوهما بخفة نمر من الأدغال فلم تسمع له حساً.

يتمتع مانولو بديناميكية لافتة تظهر جلياً من خلال وركيه النحيفين ومنكبيه العريضين وقامته الطويلة كما تظهر من خلال قسمات وجهه المنحوتة بقساوة وفمه المثير وعينيه الثاقبتين اللتين لا يفوتهما شيء أبداً. وبما أنها تعرف ماضيه حق المعرفة، وجدت نفسها مرغمة على التسليم بطبعه القاسي الذي لا يعرف الرحمة. طبع يرقد تحت رباطة جأش ظاهرية مثيرة للحيرة.

ـ صباح الخير.

حيّاهما مانولو ثم تابع يقول: «آمل أن تكونا قد أمضيتما ليلة هانئة».

قابلت ريان نظراته ببرودة: «شكراً لك».

مع أنها تعلمت كيف تخفي توترها عن الناس، إلا أنها انزعجت لإحساسها بأن هذا الرجل يربكها أكثر من سواه. إنها تشعر بالانجذاب نحوه وعليها أن تبذل قصارى جهدها لتضع حداً لذلك.

السبب الأساسي لوجودها هنا مهني صرف. فضلاً عن أنها لا تكترث البتة لأمر الرجال، لا سيما أمثال مانولو ديل غاردو.

ـ يكاد طوني ينتهي من ضبط الأجهزة السمعية. ألديك أي تعليق حول لائحة الأسئلة؟

رفع حاجبيه استهزاءً: «إنني معتاد على المقابلات».

ـ نعم.. طبعاً.

ووجدت في ابتسامة الاسترخاء ملاذاً لها.

ـ تعلم جيداً أننا ننوي التركيز على ثلاثة عناصر أساسية: ماضيك، نجاحك المهني، واهتمامك بالأعمال الخيرية. وسنتناول أيضاً بعض المسائل الشخصية، لنضفي لمسة شخصية على المقابلة، ثم نربط المواضيع كلها ببعضها البعض.

لا شك أن ذلك يشكل تحدياً أقوى مما كانت تتوقع، فهذا الرجل ليس سهلاً، وذكاؤه الحاد وحذره الشديد سيمنعانه حتماً من الإدلاء بتصاريح عشوائية.

استرعى انتباه ريان الملابس الأنيقة التي اختارها لجلسة الصباح، إذ ارتدى بنطلوناً من صنع أرماني وقميصاً من صنع ڤيرساتشي، تذكرت أنها شاهدت عارضي أزياء شباناً يرتدونها خلال عرض الأزياء الذي تولت تقديمه مؤخراً.

هل اختار مانولو ديل غاردو هذه الملابس عمداً؟

ـ ما رأيك لو نبدأ؟

تأملت ريان ملامحه بعين المحلل، وتجاهلت بحزم الرعشة التي اعترتها عندما التقت عيناهما.

ـ هل أنت منزعجة من شيء ما؟

فكرت في سرّها: منك أنت، وبامتياز.

ـ أود أن أضع القليل من الزينة على وجهي.

واستدارت تلتقط علبة الزينة الصغيرة التي تحتفظ بها لهذه الغاية.

ـ لمسة بسيطة فحسب.

ـ كلا.

حمل صوته الفاتر شيئاً من النعومة. نعومة سمرتها في مكانها لثوانٍ قليلة قبل أن تلتفت لتواجهه من جديد.

ـ أقصد طبقة رقيقة من البودرة الشفافة فقط.

ـ كلا.

لم تكن الساعة قد تجاوزت التاسعة بكثير، وها هو يعرقل سير العمل.

فحاولت ريان أن تلطف الأجواء: «إنه إجراء روتيني».

ـ ولكنني لم أوافق على الالتزام به.

حسناً، لم يكن التبرج مهماً بالنسبة إليها وعليها أن تتدبر أمرها.

ـ هلا تفضلت بالجلوس؟

كان ذلك أقرب إلى الأمر منه إلى الاقتراح، فاستحقت تلك النظرة التأملية التي رمقها بها.

ـ ماذا لو كنت أفضل البقاء واقفاً؟

إنه يعبث معها..

ـ سيد ديل غاردو..

ـ حسبت أننا اتفقنا على التخلي عن الرسميات.

www.elromancia.com

يبدو أنها ستعاني من الأمرين خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه!

أذعنت لطلبه وقالت: «مانولو».

فأحنى رأسه احتراماً: «شكراً».

ـ سأزودكما بمذياعين لاسلكيين.

وتقدم طوني نحوهما حاملاً مذياعين يعملان عن بعد وأعطى ريان واحداً ثم ثبت الثاني بياقة قميص مانولو ديل غاردو. وفكرت ريان أن الكرة أصبحت الآن في ملعبها، ولا أحد سواها يمسك بدفة القيادة. لكنها ما لبثت أن أقرت أن تسليمها بذلك كمن يسلم بأن الثلج يغطي الأرض في فصل الصيف!

إن التعامل مع أصحاب الشخصية القوية هو جزء من مهنتها، وقد واجهت خلال عملها بضع حالات مماثلة.

ـ أرجو أن نتمكن من الحفاظ على جو هادىء، تسوده الإلفة.

ورفعت عينيها عمداً لتقابلا عينيه، وأضافت: «وبعد ترتيب المشاهد المصورة، تبقى الكلمة الفاصلة لك في ما يتعلق بمحتوى الفيلم النهائي».

كانت نظراته الثاقبة القاتمة تكوي الروح بحدتها.

ـ لا تنسي أن كل محاولة منك للجوء إلى استراتيجياتك الذكية، سأقابلها بصمت مطبق.

استقامت ريان في مجلسها وأخذت نفساً عميقاً، وتمكنت من أن ترسم ابتسامة فاترة على ثغرها.

ـ هلاّ بدأنا؟

مرت ساعة من الوقت، ولم تستطع ريان أن تجمع عن مانولو ديل غاردو معلومات جديدة، باستثناء تلك التي تداولتها وسائل الإعلام. فلم تجد أمامها سوى أن تبذل جهداً أكبر.

ـ حدثني عن حياة «التشرد».

لم تستطع ابتسامتها الفاترة أن تخترق جدار عينيه.

ـ أتريدينني أن أرسم لك صورة عنها؟ عصابات الشوارع، الفقر المدقع، والبقاء على قيد الحياة، تعني التقدم على القانون خطوة واحدة في أزقة يدفع المرء فيها ثمن أدنى غلطة طعنة في الأضلع أو أسوأ من ذلك.

ـ أتخيلها قاسية جداً.

كان مانولو يشك في أن تبلغ مخيلتها حد الواقع. لقد عانى من العوز سنوات طويلة، كان يعمل خلالها عشرين ساعة في اليوم لسبعة أيام في الأسبوع، ويجازف بأمور وحده المغفل أو الشجاع يتجرأ على الدنو منها.

ـ كانت الحاجة الماسة للبقاء على قيد الحياة الحافز الأساسي.

اتسمت نبرة صوته بالسخرية، وكمن في أغوار تينك العينين الداكنتين سيل من الذكريات الحية. ذكريات لا يسعها إلا أن تفك ألغازها.

ـ ما رأيك لو تتحدث عن هذا الموضوع بشكل مفصل؟

ـ لا أجد مبرراً لإعطائكم لمحة مفصلة عن فترة مراهقتي.

حسناً، يريد أن يلعب دور الفظ.

ـ أهي محاولة منك لتحمي نفسك أم لتدفن ماضيك؟

لم يحرك ساكناً ولكنها أحست بأن جسده القوي قد أجفل. وتحول الصمت الذي لف الغرفة إلى حقيقة حسية، فحبست أنفاسها منتظرة أن ينفجر غاضباً، ولكنه لم يفعل. وعبثاً حاولت أن تلج إلى أعماق تينك العينين المظلمتين.

أدركت ريان أنه يتمتع بقدرة على ضبط النفس يحسد عليها، وتساءلت عما قد يخرجه عن صوابه. فأحست بقشعريرة تعتريها وتهدد بأن تسري على طول عمودها الفقري، وهي تفكر بالاتجاه الذي قد تسلكه نوبة غضبه التي ستكون، حسب رأيها، حاسمة وسريعة.

ولما كان انتباهها كله مركزاً على الرجل، لم تسمع في بادىء الأمر، صراخ طفل آتٍ من بعيد.

ـ أرجو المعذرة.

ونهض بسرعة وتوجه نحو الباب. في تلك اللحظة بلغ مسمعها أنين طفل يتألم، أنين ما لبث أن أخذ يزداد قوة.

أومأت ريان ببدها لطوني طالبة منه أن يتوقف عن التسجيل، ثم لحقت بمانولو ديل غاردو عبر الرواق.

أحست بغصة في حلقها وهي تراه يهدهد طفلة صغيرة بين يديه. التفت نحوها ورماها بنظرة قاسية سمرتها في مكانها وجعلتها عاجزة عن الحراك: «إن تطفلك غير مرحب به».

بدت نبرة صوته ناعمة بشكل مخيف فيما صراخ الطفلة يزداد حدة شيئاً فشيئاً. تملكتها رغبة قوية بأن تأخذها بين ذراعيها وتخفف عنها. وقالت بسرعة: «أوقفنا التسجيل والتصوير».

كان الجميع على علم بالمصير الفظيع الذي لقيته زوجة مانولو ديل غاردو، وبالطفلة الرضيعة التي تركتها له. غير أن صور هذه الأخيرة لم تصل أبداً إلى أيدي رجال الصحافة.

ـ احرصي على أن يبقى الأمر كذلك.

تحول أنين الطفلة إلى صراخ حاد، ما لبث أن حلت الحازوقة محله.

لم تستطع ريان أن تمنع نفسها من القول: «إنها تعاني من المغص».

ـ وكيف عرفت ذلك؟

أرادت أن تضربه، ولكنها حبست أنفاسها، وعدت إلى ثلاثة قبل أن تجيب قائلة: «يمكننا أن نستأنف حيثما توقفنا، بعد أن تعطي الطفلة للمربية لتعتني بها».

ـ هذا مستحيل، لأن المربية رحلت البارحة، ولن نتمكن من إيجاد مربية بديلة قبل منتصف الأسبوع.

ـ آسفة!

هل كانت صادقة في مشاعرها؟ أم أنها تحاول أن تكون مهذبة

فحسب؟ آثر مانولو الخيار الأخير.

ـ يمكننا متابعة عملنا بعد الغداء.

نظر إلى ساعته وأضاف: «عند الساعة الثانية».

وتوجه نحو السلم، فيما عادت ريان أدراجها لتجد طوني منهمكاً في مراجعة الحديث الذي سجله عند الصباح.

ـ هل سنأخذ استراحة؟

ـ أعطانا استراحة حتى الساعة الثانية.

وعبرت الغرفة متوجهة إلى حيث كان واقفاً.

ـ ما رأيك؟

ـ لا بأس حتى الآن.. ولكنه في غاية البرودة.

ـ ولن ينهار أبداً!

رماها بنظرة مباشرة فيما كان يُرجع الشريط إلى بدايته.

ـ أظنك تضيعين الوقت سدى في المحاولة.

شاهدت ريان جلسة الصباح بعين المحلل، وأخذت دفتر ملاحظاتها ودونت عليه بعض التعليقات ثم أعادته إلى حقيبتها الجلدية.

كانت تفصلها عن موعد الغداء نصف ساعة تقريباً، فشعرت بحاجة ماسة إلى الخروج لتنشق الهواء المنعش.

ـ سأقوم بنزهة حول المنزل.

ـ لتبحثي في حياة النبات؟

ـ ألديك اقتراح أفضل؟

افتر ثغره عن ابتسامة خبيثة:

ـ يمكنك أن تتمرني على جراب الملاكمة في حجرة الألعاب الرياضية.

ـ اقترح علي هذه الفكرة في آخر النهار. مع أنني أفضل الملاكمة على الطريقة الفرنسية، ويمكنك الانضمام إلي.

ـ آسف يا عزيزتي، فأنا لست مازوشياً.

قطبت ريان جبينها وقالت: «قد أدعك تفوز».

رفع طوني يديه مستسلماً: «أسدي إلي خدمة واذهبي واستمتعي بأريج الزهور».

ـ ما الذي ستفعله خلال هذا الوقت؟

ـ سأنقح ما تم تسجيله حتى الآن، وأتنبأ بالتفاعل الشفهي المتوقع بعد الظهر.

أدارت ريان عينيها وسألته: «أراك في مزاج جيد. ما سبب ذلك؟».

تريث طوني قليلاً قبل أن يجيبها قائلاً: «انتبهي لنفسك».

إنه صديقها وشريكها ولا بد أنه يرى أموراً كثيرة.

ـ هذا ما أفعله دوماً!

لم تخدع هذه الثقة التلقائية بالنفس أي منهما. وحملت ريان هاتفها الخليوي وتوجهت نحو البوابة الخلفية للمنزل.

كانت البوابات الفرنسية الطراز تؤدي إلى مصطبة حجرية لتصل بعدها إلى فناء مرصوف. وجدت ريان المساحات المحيطة بالمنزل أكبر مما كانت تتوقع، وتضم مرجة شاسعة لا تشوبها شائبة. كانت أرض الحديقة تعج بنباتات مزهرة من أجناس مختلفة وألوان متعددة شُذبت أغصانها الخضراء بعناية.

ولفتت انتباهها مقصورة مطلية بدهان أبيض سقفها من الحديد المزخرف بشكل جميل، وقد بُنيت على مقربة منها نافورة ماء يتوسطها حوض من الرخام. كل ما في الحديقة بدا رائعاً يجعلها أقرب إلى الكمال: المقاعد، أحواض الزهور، الممرات.. وتساءلت ريان ما إذا كان مانولو ديل غاردو قد أحاط نفسه بهذه الأشياء الجميلة ليستمتع بتأملها، أم لأنها تندرج ضمن المقتنيات التي يتوقع أن يقتنيها رجل ثري مثله. مقتنيات سمع عنها، وتزود بها، وعمل على صيانتها لخلق صورة ملائمة! وهذا المنزل، أو حري بها أن تقول هذا القصر، أتراه استخدم مجموعة من مهندسي

الديكور وأطلق أيديهم في العمل؟

طن هاتفها الخليوي، ودخلت رسالة جديدة في سجل الرسائل الواردة. ما ذكرها بأن تطّلع على الاتصالات التي وردتها هذا الصباح. فوجدت ثلاثة، اثنين منها من روجر. أحست بالغثيان وهي تقرأ كلماته القاسية.. وقررت في سرها أن تتجاهله كارهة مكر اضطرابه العقلي.

نادراً ما يتصل بها من الرقم نفسه مرتين. ويلجأ دوماً إلى تغيير بطاقات الخدمة، مستعملاً عدداً من الهواتف العامة، في محاولة منه لحثها على الرد على كل اتصال أو رسالة تردها، وكان يتدبر دوماً أمره ليحقق غايته.

كان روجر الحافز الأساسي لإتقانها فنون الدفاع عن النفس، سواء لجهة إتقان ضبط النفس والتحكم بها أو لجهة اعتمادها كوسيلة للدفاع عن النفس وللتعبير عن غضبها من تطفله المزعج.

دست ريان هاتفها في جيبها وقررت أن تركز اهتمامها على المناظر الخلابة المحيطة بها. كان الطقس جميلاً، والسماء صافية لا يعكر صفوها إلا القليل من السحب البيضاء العابرة. داعبت أشعة الشمس الدافئة بشرتها وعبق الهواء برائحة الزهور الطيبة وألوانها المتنوعة، الصارخ منها والباهت والتي تبهج العين.

عادت ريان إلى المنزل، وصعدت إلى غرفتها لتصلح هندامها، قبل أن تنضم إلى طوني في غرفة الطعام لتناول الغداء.

أعد سانتوس لهما شرائح مشوية من لحم العجل وسلطة خضار وخبزاً طازجاً، فضلاً عن سلطة الفواكه الشهية للتحلية.

بعد الغداء، وجدت ريان الفرصة ملائمة لتضع القليل من الزينة على وجهها وتسرح شعرها قبل أن تلحق بطوني إلى الحجرة المخصصة للمقابلة وتعيد قراءة ملاحظاتها، والأسئلة التي تريد طرحها على مانولو خلال فترة بعد الظهر.

ظهر مانولو ديل غاردو بعد الثانية بقليل ولاحظت ريان على الفور أنه بدل قميصه. صحيح أن قميصه الجديد كان أبيض وأزراره العلوية مفكوكة وطرفي كميه مثنيين، إلا أن الاختلاف كان بسيطاً جداً، ومن الصعب أن تنتبه إليه عين تفتقر إلى الخبرة المهنية.

حاولت أن تصف ذلك كجزء لا يتجزأ من عملها، ولكنها أدركت في قرارة نفسها أنها تكذب، فهذا الرجل يأسر اهتمامها بكل ما فيه.

ذلك أن الإحساس الغريزي بالقوة يتحد بشكل متناغم ودرامي مع قسوة بدائية ورغبة كامنة. وإن أضفنا إلى ذلك الوحشية المكبوحة لحصلنا على مزيج مهلك.

راحت ريان تنصح نفسها في سرها بأن تتصرف كمحترفة وتحصر تفكيرها بنوعية المقابلة وتتجاهل سحره الآسر. أرادت أن تبتسم ساخرة من نفسها، إلا أن الابتسامة ماتت في حلقها..

ـ أود أن أركز بعد ظهر اليوم على دخولك حلبة الأعمال، العقبات الأولى، دوافعك للنجاح، المخاطر التي واجهتها..

التقت عيناهما، إلا أنها لم تشح بهما بعيداً.

ـ سأسلط الضوء على الرسم البياني لحياتك المهنية.

تأمل مانولو جسمها النحيل وشعرها الأشقر الأملس وعينيها البندقيتين المائلتين إلى الخضرة وذقنها الصغير الصارم وفمها المثير.. هل قال لها أحدهم من قبل إن عينيها تتحولان إلى اللون الأخضر الداكن عندما تغضب؟

إنه شعور تحسن إخفاءه.. شعور أثار فضوله..

كان يعي وهو يجيب عن أسئلتها أنها تحرت عنه جيداً، وجمعت معلومات أصبحت شائعة في الوسط الإعلامي.

ـ هل قمت بأعمال غير مشروعة خلال سعيك لبناء امبراطوريتك؟ منذ سنوات طويلة وهو يتجنب مخالفة القانون، ولكنه قام في بداية

مشواره الطويل بصفقات لا يعتبرها مصدر فخر له

ـ هلاّ حدّدت ما تقصدينه بكلمة «غير مشروعة»؟

بدت نبرة صوته الفاترة ناعمة بشكل مخيف، على الرغم من رباطة جأشه التي لا تتزعزع.

ـ وهل تحتاج هذه الكلمات إلى التفسير؟

ـ أظن أنها تحمل معانٍ كثيرة..

ـ أيمكنني اعتبار تملصك من الرد رداً بحد ذاته؟

ـ أتوجهين لي اتهاماً؟

رباه! يكفي أن يشير بإصبعه لتجد نفسها محاطة بمجموعة من المحامين البارعين الذين ينغصون عليها حياتها.

ـ كلا

اتسمت نبرة صوتها بالهدوء، ورسمت ابتسامة مهذبة على شفتيها.

ـ إنها مجرد وسيلة للتعبير عن الإعجاب بحجم الثروة التي جمعتها خلال فترة زمنية قصيرة.

ـ سأعتبر كلامك مديحاً.

كان يرغب حتماً بخنقها. أحست بذلك من خلال برودة أعصابه الظاهرية. لم يتبقَ لديها إلا أسئلة قليلة تطرحها، وتنتهي بعدها جلسة بعد الظهر.

راقبت مانولو ديل غاردو ينهض من مكانه، ويحني رأسه احتراماً ثم يغادر الغرفة.

ـ خرجت سالمة من بين براثنه.

كان من المفترض أن يثير تعليق طوني ارتياحها، غير أن تغاضي مانولو ديل غاردو عن محاولتها الصريحة للعب على الخط الفاصل ما بين الاستفزازي والمثير تركها في حيرة من أمرها.

ـ نعم.

جمعت أوراقها ووضعتها في حقيبتها الجلدية.

ـ يؤسفني ألا نتمكن من إنجاز المقابلة هذا المساء.

علقت ريان حقيبتها فوق كتفها وقالت: «علمت أن مضيفنا لديه موعداً هاماً هذا المساء».

أعاد طوني آلة التصوير إلى علبتها وأحكم إقفالها: «يمكننا أن نخرج لتناول البيتزا ونشاهد فيلماً سينمائياً».

ـ لا تعتمد علي!

وتوجهت نحو الباب وأضافت: «سأجرب حوض السباحة، وأتناول بعدها عشائي، ثم أخلد إلى سريري باكراً».

ـ فكرة جيدة. أظنهم أعطونا الإذن باستخدام حجرة التسلية. ربما يوافق سانتوس على أن يعد لنا الذرة المشوية!

ـ في أحلامك.

ثم ابتسمت له هازئة وأضافت: «أتخال أنهم يحتفظون بالذرة في خزانة المؤن في منزل كهذا؟».

اجتازت ريان الرواق، وبدأت تصعد السلالم وقد ارتأت أن تطلع على الرسائل التي وردتها وهي في طريقها إلى غرفتها. إنه روجر من جديد.. وكبتت شتيمة بذيئة كادت تفلت منها. ألن يكف هذا الرجل أبداً عن إزعاجها؟

قرأت الكلمات الأولى من الرسالة ثم محتها كلها. لقد نجح في الوصول إليها من جديد، وهذا أكثر من كافٍ بالنسبة إليه.

انسي أمره، وخذي نفساً عميقاً. راحت ريان تردّد هذه الكلمات في سرّها وهي تخلع ملابسها وترتدي ثوب السباحة الذي جلبته معها علّها تحتاج إليه، ثم ارتدت سروالاً رياضياً وقميصاً ملائماً، وحملت منشفتها وتوجهت نحو الطابق السفلي.

أثارت حجرة الألعاب الرياضية والمعدات الثمينة التي وضعت فيها

إعجابها. عبرت ريان الحجرة متوجهة نحو حوض السباحة، ثم نزلت في الماء وراحت تقطع الحوض ذهاباً وإياباً إلى أن شعرت بالتعب. إلا أنها كانت مسرورة جداً لإطلاقها العنان لطاقاتها المكبوتة!

خرجت من الماء وأخذت حماماً سريعاً، ثم عادت إلى غرفتها لتبدل ملابسها للعشاء.

بعد أن استمتعا بوجبة شهية، قرر طوني وريان أن يتناولا القهوة في قاعة التسلية وهما يشاهدان فيلماً على التلفزيون. وما إن انتهى الفيلم حتى هبت ريان واقفة من مكانها.

ـ تصبح على خير.

دس طوني شريطاً آخر في الجهاز، ثم ارتمى في مقعده الوثير وأجابها: «أراك عند الفطور».

٣ - مؤامرة بريئة

لم تكن ريان واثقة من السبب الذي جعلها تستفيق من سباتها، ولكن شيئاً ما أيقظها فجلست في سريرها تصغي إلى سكون الليل وتتساءل في سرها ما إذا كانت تحلم حلماً مزعجاً.

وتناهى إلى مسمعها صراخ طفل متذمر آتٍ من بعيد. يبدو أن طفلة مانولو ديل غاردو استيقظت متألمة فراحت تصرخ.

كم الساعة الآن؟ نظرت ريان إلى ساعة يدها لتجدها قد قاربت منتصف الليل. بين لحظة وأخرى، سيهرع مانولو أو سانتوس إن لم يكن الأول قد عاد إلى المنزل بعد، لنجدة كريستينا.

إلا أن الطفلة استمرت بالصراخ، فهبت ريان تنهض من سريرها، فالتقطت عباءتها، ووضعتها على كتفيها، ثم راحت تشق طريقها عبر الرواق الطويل. كانت أضواء حاملات المصابيح المعلقة على الجدران خافتة، وعبرت أمام عدة أبواب مغلقة لتصل بعدها أمام الغرفة التي يتصاعد منها الصراخ.

انتابها إحساس مفاجىء بالخوف، فتسمرت في مكانها مترددة، إلا أنها عادت وتجاهلت خوفها وفتحت الباب. تنبهت إلى الأنوار الخفيفة في الغرفة، وتوجهت مباشرة نحو سرير الطفلة واهتمامها كله محصور بها.

- يا للطفلة المسكينة!

رفعتها من السرير وأسندتها إلى كتفها وراحت تربت على ظهرها محاولة أن تهدىء من روعها.

- دعيني أحزر.. هل أنت جائعة؟ أم مبللة؟ أم تشعرين بالألم؟

وأسندت خدها إلى رأسها الصغير:

- أو ربما الثلاثة معاً؟

أيعقل أن تشرب طفلة بلغت شهرها السادس الحليب في ساعة متأخرة من الليل؟ لا بد أنهم يحتفظون بجدول خاص بمواعيد طعامها في مكان ما، ولكنها لم تر شيئاً تحت ناظريها..

- حسناً يا صغيرتي، سأبدل حفاضك علّ ذلك يخفف عنك.

سمعت ريان صوتاً فالتفتت لتجد سانتوس واقفاً عند العتبة.

- سمعتها تبكي عبر المرقاب، فأتيت بأسرع ما يمكن.

وضعت ريان الطفلة على السرير المثبت إلى الحائط، وبدلت حفاضها برشاقة بالغة وهي تردد على مسمعها كلمات رقيقة:

- حسناً يا ملاكي، ليتك تستطيعين الكلام لتقولي لي ما إذا كان بطنك يؤلمك أو سنك على وشك أن ينبت..

- سأتولى الأمر عنك.

رمقت سانتوس بنظرة حادة وقالت: «ألأنه ينبغي عليك أن تفعل ذلك أم لأنك تشك بقدرتي على الاهتمام بها؟».

- على العكس. إنك تبلين حسناً، فكريستينا توقفت عن البكاء.

تجشأت الطفلة جشأة رضى، فابتسمت ريان: «هل ثمة المزيد منها يا حبيبتي؟».

ولبت الطفلة طلبها على الفور وتجشأت من جديد.

- هل تشرب عادة الحليب في مثل هذه الساعة؟ لم أجد جدولاً بمواعيد طعامها!

ومررت إصبعها برقة على خد الطفلة.

- ربما لأن المربية الأخيرة لم تكن تحتفظ بواحد.

وابتسم سانتوس ابتسامة جافة وقد بدا جلياً أن الحديث عن المربيات

يعتبر موضوعاً حساساً للغاية.

ـ أخذت كريستينا رضاعة الحليب عند الثامنة، ومن المفترض ألا تستيقظ لتناول الثانية قبل الخامسة صباحاً.

ولكنها غيرت عاداتها هذه الليلة، يا لها من مخلوقة مسكينة! توفيت والدتها باكراً وتركتها محرومة من حنانها. في حين ترك والدها أمر الاعتناء بها لأصحاب الخبرة وانشغل عنها بإضافة بضعة ملايين إلى ثروته الضخمة.

ـ هل من مشكلة يا سانتوس؟

أذكر الدئب وهيّء العصا!

ـ يبدو أن كريستينا تجد صعوبة في التوقف عن البكاء.

خلع مانولو سترته ورماها على الكرسي، ثم حل عقدة ربطة عنقه وقلب كمي قميصه.

وعلى الرغم من أن التعب أنهك عيني ريان إلاّ أنها وجدته جذاباً بشكل مخيف، بكتفيه العريضتين ووقفته الثابتة وقسمات وجهه الجذابة..

ـ أعتذر منكما، تأخرت رغماً عني.

أتراها واهمة أم أنها رأت حقاً سانتوس ومانولو يتبادلان نظرات معبرة؟

ـ سمعت ريان صراخ كريستينا فهرعت إليها قبلي.

أحنى رأسه لها احتراماً: «أشكرك على اهتمامك».

وأدركت أن نظراته تقول: يمكنك الآن أن تنصرفي، ولكنها أرادت أن ترجىء المحتوم إلى ما بعد، فقد خالجتها مشاعر جميلة وهي تحمل الطفلة بين يديها. وشدّت هذه الأخيرة نفسها إليها وكأنها تؤكد لها تعاطفها الضمني معها، فقربت ريان إصبعها الصغير من فم الطفلة التي ما لبثت أن بدأت بالرضع، فيما أخذت ريان تداعب خدها الناعم.

ضاقت عينا مانولو قليلاً: «سآخذ كريستينا».

ثم نظر إلى ساعته وأضاف: «لا أظن أن زجاجة واحدة من الحليب قد تضر بها».

لم يعد بوسعها أن تحتفظ بالطفلة بين ذراعيها مدة أطول فأعطتها لوالدها بخفة، ولكن كريستينا اعترضت على ذلك وعبرت عن اعتراضها صراحة.

أحست ريان بقلبها يتخبط بين ضلوعها لدى سماعها صراخ الطفلة، وقاومت رغبة جامحة تملكتها بمد يديها للتخفيف عنها.

ـ يبدو أنك تتعاطفين مع الأطفال.

أهذا مديح؟ هل تقول له إنها تتمتع ببعض الخبرة في هذا المجال؟

ـ سبق لي أن أعددت تقارير حول تأثير النزاع في كوسوفو على الأطفال.

لكنها لم تخبر سوى المقربين منها عن الخبرة الميدانية التي اكتسبتها، إذ قضت فترة من الزمن وهي تعتني بالمرضى في مستشفيات تعاني من نقص حاد في الموظفين. واختارت البقاء هناك إلى حين وصول أصحاب الخبرة.

ـ حيث الفوضى العامرة والمعدات الطبية المستنفدة هي المعيار!

أتراه تخمين مدروس يرتكز على البيانات الصحفية الصادرة في تلك الحقبة؟

ـ كانت الفرصة متاحة أمامك للعودة مع الفريق الإعلامي، ولكنك أبيت أن تفعلي. وبقيت هناك تفترشين أرض المستشفى وتأكلين حصتك اليومية من الطعام، وتعتنين بالمرضى أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، ولسبعة أيام في الأسبوع.

لا يمكنه أن يعرف هذه المعلومات كلها إلا إذا..

قال لها بنبرة هادئة:

ـ لا أسمح لأحد بأن يدخل إلى منزلي قبل أن أتحرى عنه جيداً.

ـ لا أحد؟

www.elromancia.com

ـ كلا.

هذا ما كان ينقصها . . . شخص يجيد قراءة أفكارها!

أطلقت كريستينا صرخة اعتراض، لتعود وتجهش بالبكاء بحماسة أكبر. أرادت ريان أن تأخذها بين ذراعيها من جديد، فتسخن لها الحليب وتضمها إلى صدرها، لكنها آثرت أن تقول: «تصبحان على خير».

جاءت نبرة صوتها رسمية وقد طغى عليها التهذيب

ـ شكراً لك.

خلت كلماته من التهكم فاستدارت نحوه فيما كانت تمد يدها لتفتح الباب قائلة: «على الرحب والسعة».

اقترحت ريان تصوير المرحلة التالية من المقابلة في مكتب مانولو ديل غاردو أو مكتبه أو مهما كان اسم الغرفة التي يعقد فيها معظم صفقاته، بعيداً عن مكاتب الشركة.

ولهذه المناسبة، طلبت منه أن يرتدي ملابس رسمية. فلم يخيب ظنها، واختار بذلة أنيقة وقميصاً أزرق وربطة عنق حريرية ملائمة، ما أضفى عليه صورة رجل أعمال بامتياز.

ـ لا أظن أن تجهيز المعدات سيتطلب وقتاً طويلاً.

أجابه طوني مطمئناً: «يمكنني أن أجهزها بينما تشرح لك ريان بعض الترتيبات».

أرادت ريان أن تطمئن عن حالة كريستينا وتتأكد من أنها نامت جيداً، إلا أنها تمكنت بعد جهد من كبح جماح نفسها، وهي تلحق بمانولو عبر الرواق وصولاً إلى غرفة فسيحة تغطي جدرانها الكتب. كانت الغرفة تضم مكتباً كبيراً، ومقاعد جلدية وثيرة، وجهاز فاكس، وكومبيوتر وطابعة..

تفحصت ريان الغرفة، فبدا لها ضوء النهار كافياً.

ـ في بداية المقابلة، أريدك أن تجلس خلف المكتب وبعد أن أطرح

عليك بعض الأسئلة يمكنك أن تنهض من مكانك وتتوجه نحو المكتبة

ورمت طوني بنظرة عجلى: «أيمكنك أن تدير آلة التصوير ببطء؟».

أومأ برأسه موافقاً من دون أن ينبس ببنت شفة.

ـ يمكنك أن تختار في ختام المقابلة مقعداً وتجلس عليه.

ساعات قليلة وتنتهي المقابلة، فيقومان بتوضيب أغراضهما ويغادران المكان لتبدأ عندها عملية اختيار المشاهد وترتيبها.

كان طوني قد التقط صوراً من الخارج للمبنى الحديث الذي يضم مكاتب شركة ديل غاردو في المدينة كما أخذ بعض اللقطات للمدخل الفخم. غير أنه لم يحاول أن يأخذ أي صورة لمنزله الخاص، أو لسيارته الفخمة المركونة في الخارج أو لطائرته الخاصة، وذلك احتراماً منه لرغبة مانولو.

لم يكن ديل غاردو يحاكي رجال الأعمال الذين يهوون التباهي بمقتنياتهم الفخمة، بل آثر أن يحيط منزله وابنته بسرية تحميها أجهزة متطورة للغاية، لا تلجأ إليها عادة إلا الأسر المالكة وكبار نجوم هوليوود.

ـ ستتحدث هذا الصباح عن أعمالك الخيرية، والأسباب التي حثتك على تأسيس المنظمة، وحجم مساهمتك فيها وإنجازاتها وأهدافها

كانت ريان على علم مسبق بالأجوبة عن هذه الأسئلة كلها لأنها جمعت معلومات وافية حول هذا الموضوع. فمن الناحية المهنية، حصر رجال الإعلام اهتمامهم بالرجل وماضيه ونجاحه، في حين بقيت أعماله الخيرية الجديرة حقاً بالثناء مسألة ثانوية. ولا شك أن شغف مانولو ديل غاردو بالأعمال الخيرية نابع من صميم ذاته، ووجدت نفسها تأخذ وقتاً أكثر مما كانت تتوقع.

فالمعروف أن شركة ديل غاردو تقدم للصبية المتشردين وسائل الراحة كافة، من قاعات للألعاب الرياضية، وملاجىء تتوفر فيها أسرة نظيفة ووجبات طعام مجانية، علاوة عن مرشدين اجتماعيين يتمتعون بكفاءة

عالية، يعملون بالتعاون مع صبية ضاقوا ذرعاً من حياة التشرد، وأدركوا ثمن العيش في الشوارع، وثمن الانفصال بشكل نهائي عن العصابات التي تلجأ إلى التهويل لفرض سيطرتها.

ـ لا شك أن مساهمتك الشخصية أساسية، فهلا أعطيتني رقماً تقريبياً؟

ـ كلا.

ـ أهو بالملايين؟

ألحت ريان عليه حتى أجابها بنبرة فاترة قائلاً: «أظن أنني أجبت عن هذا السؤال».

ـ أتعتبر أن مشاركتك فعالة؟

اضطربت عيناه وقال لها ببرودة: «قلت ما عندي».

أومأت ريان بيدها لطوني معلنة انتهاء المقابلة.

كان النهار قد انتصف وشعرت بحاجة ماسة لمغادرة هذا المكان، فجاذبية هذا الرجل الجسدية تثير اضطرابها وتشوش أفكارها، ولم تشأ الرضوخ أمام تأثيرها كما وجدت صعوبة في تجاهلها.

ـ سيمر رقم هاتف الجمعية الخيرية التابعة لمؤسستك على الشاشة، طوال مدة البرنامج.

نهض مانولو من مكانه بقامته الطويلة: «شكراً. أود أن أشاهد الشريط الذي سُجل في الصباح».

وتوجه نحو الباب وفتحه ثم تنحى جانباً.

ـ سيتولى طوني عرض الفيلم عليك.

وفكرت ريان أن بإمكانها خلال هذا الوقت أن تطّلع على الرسائل الواردة إليها، وتنقل حقائبها إلى الطابق السفلي.

ـ ريان!

كانت ريان تقف على مقربة منه، فمالت برأسها قليلاً لتقابل نظراته.

أثارت قامته الممشوقة ومنكباه العريضان حواسها كلها، فيما عبقت رائحة ملابسه النظيفة الممزوجة بذرة من العطر في أنفها، حتى باتت عاجزة عن ضبط تنفسها.

ـ أريد أن أتحدث معك.

تباً! سيطلب منها حتماً حذف بعض الأسئلة، ويقترح الإشراف عن كثب على المونتاج، فينتهي الأمر بهما إلى مناوشة كلامية.

ـ هنا؟

كان طوني يوضب معداته برشاقة اكتسبها على مدى سنوات طويلة من الممارسة العملية.

ـ ألا تشعرين بالارتياح هنا؟

كانت تدرك في أعماقها أنها لا تشعر بالارتياح بقربه، ولكنها ستدعه يقول ما عنده ثم تذهب في طريقها.

توجه طوني نحو الباب، فلم تخف عليها نظراته المعبرة وهو يمر بقربها.

وجدت ريان في الهجوم أفضل وسيلة للدفاع فقالت: «أتريد أن تشتكي من شيء ما؟».

ـ بل على العكس، أريد أن أطلب منك خدمة.

حمدت الله في سرها وأحست بتوترها يتلاشى شيئاً فشيئاً.

ـ ما هي؟

ـ علمت أنك ستذهبين في إجازة بعد انتهاء هذه المهمة.

ألا يخفى عنه شيء أبداً؟ طبعاً، فالأمر في غاية البساطة، يكفي أن يجري مانولو ديل غاردو بعض الاتصالات الهاتفية أو يكلف أحدهم بهذه المهمة.

ـ نعم.

كانت تنوي أن تستمتع بمشاهدة الأفلام السينمائية وتدلل نفسها بشراء بعض الحاجيات، وتلتقي ببعض الأصدقاء.

سألته وعلامات الفضول بادية على وجهها: «هلاّ شرحت لي ما الذي تريده بالضبط؟»

- هل توافقين على البقاء هنا لبضعة أيام والاهتمام بكريستينا إلى أن ترسل لنا الوكالة مربية جديدة؟

تقطعت أنفاسها فجأة، ولكنها عادت وانتظمت بعد أن طردت الإحساس بالريبة الذي سيطر عليها.

- أظنك تمزح، أليس كذلك؟

- إنني جاد في كلامي.

وعرض عليها مبلغاً جعلها ترفع حاجبيها عالياً من الدهشة.

- لا أظنني أتمتع بمؤهلات المربية.

- لكن ابنتي تعلقت بك.

نظرت إليه بحذر: «تجاوبت كريستينا مع عطفي عليها فحسب ولا أظن أنها مسألة شخصية».

أجابها بحزم: «المهم هو أنها تجاوبت معك، وهذا ما جعلني أطلب منك ذلك».

- لكنك لا تعرفني.

- على العكس. يعمل والدك في شركة للنفط، مكاتبها موزعة في دول الشرق الأوسط، ولا يتسنى لك رؤية والديك إلا مرة في السنة. شقيقك أليكس مهندس يكبرك بسنتين ويشغل منصباً مرموقاً في هونغ كونغ. تزوجت لفترة وجيزة..

وتنبه إلى نيران الغضب التي أخذت تستعر في عينيها، لكنه تابع كلامه قائلاً:

- تعذبت كثيراً لتحصلي على الطلاق، وحصلت مؤخراً على أمر يقضي بتوقيف زوجك السابق، لإزعاجه المستمر لك. لست مرتبطة

حالياً، ولا تخرجين إلا نادراً... هل أتابع كلامي؟

أغمضت عينيها لإخفاء الغضب الذي هدد بأن يفقدها رباطة جأشها، ثم عادت وفتحتهما قائلة: «أعتبر تحرياتك هذه غزواً صريحاً لحياتي الشخصية».

- هذا غير صحيح، إنها نوع من الحماية الضرورية

أجابته بحدة: «لك!»

- بل لابنتي، ولكل شخص يقيم تحت سقفي، وإن لفترة زمنية قصيرة.

- أتراك ستعفي سانتوس من مهماته المنزلية لتجعله حارسك الشخصي؟

جاء كلامها أقرب إلى التصريح منه إلى التساؤل. واكتفى مانولو بالرد عليها بالصمت المطبق.

علا صوت الطفلة من مكان قريب تلاه صوت شخص آخر، فالتفتا معاً ليجدا أن سانتوس يدخل الغرفة حاملاً كريستينا بيد وزجاجة الحليب باليد الأخرى.

أتراها صدفة أم مؤامرة؟ في كلتي الحالتين ذاب قلب ريان رقة وهي ترى وجه الفتاة محمراً وقد وضعت معصمها الصغير في فمها.

أخذ مانولو الطفلة وارتمى فوق أحد المقاعد ليطعمها الحليب، فأسرعت كريستينا تمسك الحلمة المطاطية بيديها الرقيقتين وتبدأ برضع الحليب بنهم.

تقدمت ريان نحو الطفلة قليلاً قالت «إنها تشرب الحليب بسرعة كبيرة! لا عجب أن الفتاة المسكينة لا تعرف طعم الراحة، فهي تعاني حتماً من المغص».

- ألديك اقتراحات؟

- تحتاج المسكينة إلى حلمة مطاطية جديدة تخفف قليلاً من سرعة تدفق

الحليب.

ـ سأقصد الصيدلية في الحال، واشتري مجموعة منها.

قال سانتوس ذلك، وغادر المكتبة في الحال.

رن جرس الهاتف في المكتب فأومأت ريان له بصمت، ليعطيها الطفلة ويرد على الاتصال.

رباه! كم هي رقيقة بشعرها الأسود الذي ورثته عن والدها وبشرتها الناعمة الأشبه ببتلة ورد.

سدت ريان أذنيها عن صوت مانولو، وركزت اهتمامها على الطفلة وهي تحاول إمساك الحلمة المطاطية بإصبعيها لتخفف قليلاً من تدفق الحليب.

ولم تكد الطفلة تبدأ بالرضاعة حتى أفرغت زجاجة الحليب كلها، فحرصت ريان على أن تجعلها تتجشأ جيداً، وهي تعي أن مانولو قد أنهى مكالمته.

تحول الصمت الذي لف المكتب إلى حقيقة ملموسة، حقيقة ما لبث أن خرقها مانولو قائلاً: «كم تريدين؟».

وأضاف إلى المبلغ الذي عرضه عليها سابقاً علاوة كبيرة.

تقابلت نظراتهما: «أنت تهينني بكلامك عن المال وكأنه الموضوع الأساسي»..

استند إلى حافة المكتب وأجابها قائلاً: «متى لا يكون المال المشكلة الأساسية؟».

كان مانولو يتحدث بنبرة ساخرة، تشوبها لكنة نيويوركية واضحة، فيما راح يتأمل المرأة الشابة الجالسة أمامه. أترى استقامتها الظاهرية حقيقة أم تمثيل؟

ولمَ يكترث للأمر؟ فكل ما يهمّه هو توفير الراحة لكريستينا. تباً له عليه أن يسافر صباح الغد إلى ملبورن لحضور اجتماع هام. وفي أسوأ

الحالات، يمكنه أن يضع الطفلة في حضانة ويستقل رحلة بعد الظهر ليعود إلى دياره. ولكن الطفلة تعاني من الإرهاق وقلة النوم منذ ولادتها ولا يريد أن يبعدها عن محيطها الحالي، لذا لم يعد أمامه سوى أن يتركها في رعاية سانتوس ومدبرة المنزل.

ـ أرجوك.

لم يكلفه الأمر سوى كلمة واحدة بسيطة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن ريان مستعدة للوقوع في مصيدته بهذه السهولة. ولم يغب عنها أن ظهور سانتوس في تلك اللحظة حاملاً الطفلة بين يديه لم يكن صدفة أبداً.

ـ أنت لست منصفاً.

كان مصمماً على الفوز مهما كلف الأمر.

ـ أتعتبرين المسألة محنة عصبية؟

أكثر مما يتخيّل.. غير أنها لم تجد إلا جواباً واحداً ترد به عليه، فيما الطفلة تتعلق بها بقوة، ورائحتها الطيبة تداعب أنفها. فبعد أيام قليلة تنتهي المحنة وتعود إلى ديارها.

ـ سأبقى.

ـ شكراً لك.. سيعد سانتوس غداءً متأخراً ما يمنحك متسعاً من الوقت لتضعي الطفلة في سريرها علها تأخذ قسطاً من النوم.

عليها أن تعلم طوني بأنها لن ترحل معه وتشرح له الأسباب.

كانت ردة فعله متوقعة ولم يخب ظنها.

ـ استطاع أن يؤثر عليك، صحيح؟

كان طوني عضواً في الفريق الذي سافر إلى كوسوفو، ولم يوافق يومها على بقائها هناك. وبدت على وجهه أمارات عدم رضاه عن بقائها الآن هنا. مرر أصابعه بخفة على خدها قائلاً: «القديسة ريان.. حامية الأطفال..».

ثم ضغط بأصابعه على شفتيها وأضاف: «اعتني بنفسك».

www.elromancia.com

- سأفعل.

أحست بدفء ابتسامته.

- حسناً. إنني راحل! أراك قريباً.

- حتماً!

٤ - امومة محفوفة بالخطر

جلست ريان تستمتع بتناول الغداء وحدها على الشرفة المطلة على منظر في غاية الروعة، فمياه المرفأ الزرقاء المتلألئة تضج بالمراكب المختلفة.. هنا زورق مجنح وهناك قاطرة تجر ناقلة للنفط وعلى مقربة منها باخرة سياحية تستعد للإبحار...

كانت صورة المدينة بأبنيتها الشاهقة ولافتاتها الضوئية المتوهجة تشكل ستاراً خلفياً لجسر المرفأ.

على الرغم من تنقلها المستمر من مكان إلى آخر، بقيت سيدني موطن ريان الأول.. فهي تملك شقة في حي دويل باي الراقي كما تملك سيارة حديثة الطراز، وتنعم فيها بحياة هانئة لا يكدرها إلا شخص واحد: روجر.

وتنبهت إلى أنها أصبحت الآن في إجازة رسمية ويمكنها أن تستغني عن جهاز المناداة وتقفل هاتفها الخليوي. لم يجدها نفعاً تغيير رقم هاتفها، مع أنها لجأت إلى ذلك مرات عدة، لكنها لم تجنِ سوى أربع وعشرين ساعة من الراحة قبل أن يتدبر زوجها السابق أمره ليخترق شيفره الشركة السرية، ويحصل على رقم هاتفها الجديد. وقررت عوضاً عن ذلك أن تأخذ بنصيحة محاميها، فتسجل رسائل روجر في نهاية النهار، وتحتفظ برسائله مختومة لتستعملها كدليل قانوني ضده.

تردّد صوت الطفلة عبر المرقاب المعلق ببنطلونها الجينز، فمالت بسمعها إليها. لم يكن موعد طعامها قد حان بعد، وراحت ريان تصغي إلى تنفسها واحتجاجها المتزايد قبل أن تدخل إلى غرفتها وتراها غارقة في

www.elromancia.com

دموعها وقد علا صوتها بالبكاء.

لم تجد سبيلاً أفضل لإضاعة الوقت سوى أن تحممها وتلهو معها في الماء وتدللها قليلاً. والحقيقة أن ذلك قد يساعدها على التقرب منها. لكن ليس عليها أن تتقرب منها كثيراً، فهي لن تلعب دور المربية إلا لمدة قصيرة فقط. هذا ما ذكرت به ريان نفسها.

مر مانولو أمام باب الغرفة فوجد المرأة والطفلة يلهوان معاً. ووقف يتأمل المشهد لبضع ثوانٍ قبل أن يعلن عن وجوده: «هل من مشكلة؟».

التفتت ريان ببطء صوب الرجل المتكىء بتكاسل على حاجب الباب.

ـ كلا. حان موعد إطعام كريستينا.

كانت ريان قد أعدت لها بمساعدة سانتوس خضاراً مهروسة.

ـ أتحتاجين إلى شيء ما من شقتك؟ يستطيع سانتوس أن يوصلك إن شئت.

ثم استقام في وقفته ودخل إلى الغرفة: «الملك ترغبين بإحضار سيارتك»

جلّ ما تحتاج إليه حقاً هو بعض الملابس النظيفة.

ـ شكراً. سأطعم كريستينا أولاً وأضعها في سريرها. لنقل بعد ساعة من الآن؟

ـ سأبلغ سانتوس.

كانت الساعة قد قاربت السادسة حين استقلت المصعد إلى شقتها. وما إن دخلت إليها حتى أسرعت تدير المكيف لتهوئة المكان وتبريده ثم توجهت نحو المجيب الآلي. أحست بتقلص في معدتها وهي تستعرض الأرقام الواردة، كان عددها عشرة ومعظمها إن لم تكن برمتها تعود لروجر.

قررت ريان أن توضب حقيبتها أولاً، وتطلع بسرعة على بريدها ثم

تشغل المجيب الآلي لتستمع إلى الرسائل المسجلة. رسائل مكررة بمضمونها وتثير الاشمئزاز.

ومع أنها حاولت قصارى جهدها أن تصم أذنيها عن صوت روجر إلاّ أنه بقي يتردد في رأسها وهي تستقل المصعد لتنزل إلى المرآب في الطابق السفلي.

ليتها تستطيع ضربه! لكنه خيار من الصعب تطبيقه أو على الأقل لا يجوز اللجوء إليه!

توجهت نحو المكان المخصص لركن سيارتها وتسمرت فجأة في مكانها مقطبة جبينها. ما هذا؟ كان الإطار الأمامي مفرغاً من الهواء. عظيم هذا ما كان ينقصها!

لا بأس، هذه ليست المرة الأولى التي تبدل فيها إطاراً. فتحت قفل سيارتها ورمت حقيبتها على المقعد الخلفي ثم توجهت نحو الصندوق. كم يلزمها من الوقت يا ترى؟ ولكن من يحصي عليها الدقائق؟

لم تكد ريان تنتهي من تبديل الإطار وتجلس خلف المقود وتشغل المحرك لتعود بالسيارة إلى الخلف، حتى سمعت صوت فرقعة معدن الإطار على الإسمنت.

إطاران مفرغان من الهواء! مستحيل! لا يعقل أن يعاكسها القدر إلى هذا الحد.

نزلت من السيارة لتتفحص الإطار عن كثب، وتنبهت إلى أن الإطارين مزقا بضربة سكين. لا بد أنه روجر، من سواه يقدم على عمل مماثل؟

حملت ريان حقيبتها وأقفلت سيارتها ثم استقلت المصعد إلى مدخل المبنى حيث أبلغت المدير والشرطة، وطلبت سيارة أجرة لتقلها إلى قصر مانولو ديل غاردو في بونت بيير.

عند وصولهما أمام البوابة الخارجية دفعت ريان للسائق أجرته،

وتجاوزت التدابير الأمنية وقطعت الطريق المؤدي إلى القصر.

قابلها سانتوس عند الباب الأمامي، ثم أخذ منها حقيبتها وسألها: «ألم تجلبي سيارتك؟».

رسمت ريان على ثغرها ابتسامة باردة وأجابته: «لم أفعل لسوء الحظ، مزق أحدهم إطاريّ السيارة بضربة سكين».

ضاقت عينا الرجل: «أتخيل أنك أبلغت السلطات».

ـ عالجت الأمر. هل كريستينا بخير؟

ـ أطعمها مانولو الحليب ووضعها في سريرها وهي الآن نائمة.

وأشار إلى الحقيبة مضيفاً: «سأحمل الحقيبة إلى غرفتك».

حاولت أن تمد يدها لتأخذها منه.

ـ أرجوك، إنها ليست ثقيلة.

فأحكم قبضته عليها وأجابها: «سيكون العشاء جاهزاً بعد ثلاثين دقيقة».

وجدت ريان في التحفظ الحل الأفضل. بالإضافة إلى ذلك أنها لم تشأ الدخول في جدال معه حول من ينبغي عليه أن ينقل حقيبتها إلى غرفتها.

وجدت متسعاً من الوقت لتلقي نظرة على كريستينا قبل أن تعود إلى غرفتها وتبدل ملابسها. فاختارت للعشاء تنورة سوداء ضيقة وقميصاً أبيض، وانتعلت حذاءً مريحاً، وضمت شعرها وعقدته إلى أعلى رأسها، ثم وضعت القليل من أحمر الشفاه. ونزلت إلى الطابق السفلي، بعد أن دست المرقاب في جيبها. كم كانت دهشتها عظيمة حين وجدت طاولة الطعام مهيئة لشخصين. هل سيتناول سانتوس العشاء برفقتها؟

ـ تفضلي بالجلوس.

استدارت ريان عند سماعها صوت مانولو الفاتر. كان الرجل يتمتع برشاقة النمر... نمر صامت وخطير! وتنبهت إلى أنه استبدل البذلة الرسمية التي ارتداها خلال المقابلة الصباحية ببنطلون أسود وقميص من

القطن الرقيق، أبرزا كتفيه العريضتين وخصره النحيل ووركيه النحيفين.

لا شيء فيه يذكر بماضيه الغامض. فالأطراف الخشنة باتت مصقولة تماماً منذ أن اكتسب مكانة رجل الأعمال الثري المحترم. وعلى الرغم من ذلك، أحست غريزياً بقساوته البدائية الكامنة في أعماقه.. إنه إحساس جامح يحاكي القوة المهلكة.

لا شك أنها ميزة مثيرة ومخيفة في آن معاً.. فالأمر يتوقف على الجهة التي ينحاز إليها المرء.

ـ كلانا نشعر بالجوع، فلِمَ لا نتناول طعامنا سوياً؟.

ولمَ لا؟ لكنها ليست ضيفة أو موظفة، إنها مربية بديلة، أما صفة الصديقة فلا تلائمها أبداً..

لم يكن مانولو من النوع الذي يبعث الارتياح في نفوس الأشخاص المحيطين به. ربما كانت الوحيدة التي تشعر بذلك لأنها تدرك تمام الإدراك تأثيره على رباطة جأشها، وذهبت محاولاتها الحثيثة لتحديد السبب هباءً. فخلال علاقتها القصيرة بروجر، يوم كانت تظن أن زواجها به هو تجسيد لأحلامها كلها، لم تشعر يوماً بالدماء تسري حارة في عروقها.

أرادت أن تطلق ضحكة عالية، ضحكة ما لبثت أن خمدت في حلقها. فالأمر أشبه ببركان متأجج. إذ كانت تشعر بحواسها تنتفض كلما وجدت نفسها وجهاً لوجه معه، ولا بد أنها فقدت صوابها تماماً لتوافق على البقاء في منزله ورعاية ابنته.

كان حري بها أن ترفض عرضه على الفور وتعود إلى حياتها الآمنة بأسرع ما يمكن.

ـ أتريدين أن تشربي شيئاً؟

بحق الله يا ريان! تمالكي نفسك!

ـ أفضل شراباً بارداً.

ملأ كأساً بالمياه المعدنية وأضاف إليها الليمون الحامض، ثم صب

لنفسه كأساً من العصير ووضع الكأسين على مقربة منها.

- يمكنك أن تبلغي سانتوس باسم الشركة التي ستتولى إصلاح الإطارين ليعمل على جلب سيارتك.

من الصعب أن يخفى عليه خبر المصيبة التي ألمت بها، فالحق يقال أن مهمة سانتوس الأساسية هي إبلاغ سيده بكل شاردة وواردة تتعلق بالمنزل والمقيمين فيه.

- لا داعي لذلك.

رفع مانولو الأغطية عن الأطباق، فلفت انتباهها طبق البابيلا الشهير وسلطة الخضار الطازجة وأرغفة الخبز الساخنة.

أخذ مانولو طبقها وملأه بحصتها، ثم عاد وصب لنفسه طبقاً مماثلاً.

- لِمَ تودين إعادة السيارة إلى المرآب حيث قد تصاب بالضرر من جديد؟

- لن تطول إقامتي هنا، وقد لا يكون روجر الفاعل.

من تراها تحاول أن تخدع؟

- سيعتبرون الحادثة مجرد تخريب عشوائي.

- إن كان يراقبك، فلا بد أنه علم بأن طوني غادر القصر وحده.

- ألا تظن أن الفكرة خطرت على رأسي؟

ارتشف القليل من العصير ثم سألها: «ما هو تبريره المحتمل لبقائك هنا؟».

رمته بنظرة مباشرة: «لست هنا بسببك!».

- لا شيء يؤكد له ذلك.

- أعترف بأن حجم غرورك يصعقني.

- في حين أنني أجد صدقك ممتعاً.

كان صوته ناعماً كالحرير، ولم يخلُ من بعض البرودة.

- لكنه ليس في محله هذه المرة. كنت أقصد غيرة زوجك السابق

وقدراته على بلوغ حد اللجوء إلى العنف.

أحست بأعصابها تتوتر:

- إن كنت تريدني أن أرحل، فقل ذلك صراحة.

رفع حاجبيه ساخراً:

- ولِمَ قد أطلب منك الرحيل؟

- لأنني أهدد سلامتك!

- يخضع منزلي والمساحات المحيطة به للمراقبة المستمرة بفضل تقنيات متطورة للغاية.

ومد يده ليأخذ طبق السلطة ثم تابع يقول: «لن تجدي مكاناً أكثر أماناً من منزلي».

- كم هذا مُطمئن!

- التهكم لا يليق بك.

دفعت ريان صحنها جانباً وقد فقدت شهيتها للأكل، ثم هبت واقفة: «أرجو المعذرة، أريد أن أتفقد كريستينا».

- اجلسي.

نظرت إليه مستنكرة.

- يمكنني أن أسمع كل صوت يصدر عن ابنتي عبر المرقاب.

وأومأ برأسه إلى المقعد الذي أخلته لتوها:

- تناولي طعامك.

من يخال نفسه ليكلمها بهذا الشكل؟

- أهذا أمر؟

وضع شوكته جانباً واستقام في مجلسه ليتأملها بحدة أفقدتها رباطة جأشها.

- بل اقتراح.

بقيت ريان واقفة.

www.elromancia.com

... الحالة.

... سامحني لو سمحت. سأسافر غداً باكراً الى بلبورن لإنجاز بعض الأعمال ولن أعود قبل ساعة متأخرة من الليل. يستطيع سانتوس ... إن دعت الحاجة إلى ...

... نعم.

... أن أبعد ... ، لكن ريان سيليست لم ... وشعر بالانزعاج من ذلك من دون أن يعرف السبب.

... من جاذبيته التي لا تقاوم، لم يرتبط مانولو بعلاقة غرامية ... نوعاً ما. علاوة على ذلك فإن الحب الحقيقي، ذلك الإحساس الذي يجمع بين اثنين إلى أن يفرق بينهما الموت لم يكن يمر ... من ... يشك بوجوده خارج صفحات الكتب الخيالية.

... عبر الباب تلته صرخة صغيرة تحولت سريعاً إلى بكاء ...

... ذهب لأرى كريستينا.

... تكن من رسم ابتسامة مهلبة على ثغرها بعد أن وجدت ... الفراش ملاذاً لها.

... مانولو مكانه على الطاولة، وقد فقد شهيته للأكل والشراب ... أن يدخن ... اليابانية ويجهزها لاجتماع الغد، ... يريد أن يأخذ بعض الدقائق على ملاحظاته.

- هل انتهيت؟

التفت نحو سانتوس وأحنى رأسه إيجاباً.

- اتصلت فالانتينا فاكيز وتركت لك رسالة لتعاود الاتصال بها.

لوى مانولو فمه استياءً. إنها المرة الثالثة التي تتصل فيها فالانتينا

اليوم، كم هي يلجوءة! ما هو ... تشأ أن يقولها؟

نهض من مكانه وتوجه نحو ... الساحر.

- ما أشربه الليلة في المكتب.

كانت الساعة متأخرة حين أطفأ جهاز ... ليعود إلى غرفته. وعند وصوله إلى ... الصوتي توجه نحو غرفة ... الرواق.

كان باب غرفة كريستينا مفتوحاً قليلاً فخطر له أن ... عليها، وإذا به يسمع صوتاً أنثوياً ناعماً يتلذذ ... مانولو قليلاً، ثم دفع الباب وفتحه على مصراعيه. كانت ... عينيها وقد أسندت خدها الصغير على عنق ريان.

خلال الأشهر الخمسة والنصف التي تلت ... المشهد أمام نظر مانولو مع سلسلة من المرئيات المحرقات ... منهن على انسجام مع طفلته مثل هذه المرأة التي تحملها الآن.

التفتت ريان نحوه وتقابلت نظراتهما، فرفعت إصبعها إلى شفتيها، ثم توجهت نحو السرير ووضعت الطفلة فيه برفق.

لم تحرك الطفلة ساكناً. ووقفت ريان قرب السرير للحظات قليلة قبل أن تعبر عن رغبتها بمغادرة الغرفة.

كانت المصابيح الجدارية تبعث أنواراً خافتة، وأحست بنبضات قلبها تتسارع وهي تلتف بقربه. لم يكن بوسعها أن تفعل شيئاً لتسيطر على موجة التوتر العصبي التي اجتاحتها أو على الإحساس بضيق النفس الذي جعلها تحصي كل نفس تأخذه.

إنها تكره هذا الإحساس.. وتكرهه هو.. ولكن ... للكلمة من معنى. لم تكن تكره الرجل بل تكره جاذ...

www.elromancia.com

من ذلك، أنها تكره ردة فعلها حياله.

لم تجد أمامها حلاً سوى أن تهمس له: «تصبح على خير» وتعود إلى غرفتها. فالوقت متأخر وعليها أن تخلد إلى النوم. ولكن النوم جافاها وبقيت مستيقظة تحدق في السقف المظلم، وأفكارها مشغولة برسائل روجر المفعمة بالحقد، واحتمال أن يكثف محاولته التحرش بها.

وأخيراً وليس آخراً.. ما الذي أصابها لتوافق على البقاء في منزل مانولو ديل غاردو في حين أن كل خلية من خلايا جسمها تلح عليها لتبتعد بعيداً جداً عنه؟

وعادت صورة كريستينا لتسيطر على ذهنها. كيف يسعها أن ترحل؟ لو فعلت لبقي ضميرها يعذبها طوال حياتها.

ربما تحدث معجزة وتتصل الوكالة لتبلغه بعثورها على مربية بديلة مستعدة للبدء بالعمل في الحال.

استيقظت ريان باكراً لتعتني بكريستينا ثم استحمت وارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق السفلي لتتناول فطورها على الشرفة وتقرأ جريدة الصباح.

لم ترَ لمانولو أثراً، وافترضت أنه ذهب إلى المطار، فأحست ببعض الارتياح وقررت أن تكرس النهار بطوله لابنته.

صحيح أن تفاعل الأطفال مع الكبار ومحاولتهم الضحك والقهقهة يعطي نوعاً من اللذة، إلا أن تجاوب كريستينا معها كان مشوباً باللذة والألم في آن معاً.

عند دخول ريان إلى المطبخ لتحضر طعام الغداء لكريستينا وجدت فيه امرأة سمينة، خفيفة الظل، في عقدها الرابع. فتولى سانتوس تقديمها لها، مضيفاً أن ماريا تحضر يومياً لتنظيف المنزل، وغسل الملابس وكيها. قالت لها المرأة مبتسمة: «لدي خمسة أولاد».

أتراها إيطالية أم إسبانية؟ لم تستطع ريان أن تحدد جنسيتها، ولكنها

أجابتها ضاحكة: «أظنك تخصصين لهم وقتك كله».

ـ نعم، فتارة نلهو معاً، وطوراً نتشاجر.. إنها حياة جميلة.

وسلمت ريان في سرها بأنها صعبة أيضاً.

قال لها سانتوس: «حضرت سلطة دجاج للغداء وفواكه للتحلية، إلا إن كنت تفضلين شيئاً آخر».

ـ أظن أن سلطة الدجاج تفي بالغرض.

ألقت ماريا نظرة عجل عليها فيما كانت تزيل الغبار عن الرفوف: «بدأت أسنان كريستينا تنبت، أليس كذلك؟ المسكينة، لا يمكن أن تعوض المربية عن حنان الأم».

لم يكن بوسع ريان إلا أن توافقها الرأي، ولكن لمَ أزعجتها الفكرة أكثر مما ينبغي؟ حاولت أن تطردها من رأسها فيما كانت عائدة إلى غرفة كريستينا حاملة معها طعامها.

كانت الغرفة تعج بالألعاب وقصص الأطفال، والدمى الملونة، والصور المعلقة على الجدران، وكل ما قد يحتاج إليه الطفل وأكثر.. لا بد أنهم يحتفظون بعربة الأطفال في مكان ما.. ربما في الطابق السفلي!

ـ حسناً يا ملاكي، تناولي طعامك وسنذهب بعدئذٍ في نزهة.

التهمت الطفلة طعامها بنهم، وأحست ريان بقلبها ينفطر من البهجة وهي تراها تبتسم لها، لأنها حملتها من كرسيها.

ظهرت الدهشة على وجه سانتوس وهي تدخل إلى المطبخ حاملة كريستينا، فقالت تشرح له: «تحتاج كريستينا إلى بعض التغيير، كما تحتاج إلى الهواء المنعش!».

ـ عربتها في المخزن المجاور للمرآب. سأجلبها وأرافقكما.

نظرت إليه وعلامات الذهول بادية عليها: «أظنك تمزح، أليس كذلك؟ لم أكن أنوي مغادرة الحديقة».

ـ أفضّل أن أمرّن رجليّ قليلاً.

بدا واضحاً أنه اتخذ قراراً حاسماً ولن يتراجع عنه.

ـ أظنك تبالغ في الارتياب.

ـ لم تصل صورة كريستينا إلى وسائل الإعلام بعد، ويفضل مانولو إبقاء الوضع على ما هو عليه. وفي هذه الحالة تساوي صورتها ثروة صغيرة لمن يستطيع التقاطها وبيعها.

ـ إلى متى سيبقيها في الخفاء؟

ـ إلى أن تصبح حياتها مستقرة.

ـ وستبقى خلال هذا الوقت معزولة من دون أن يسمح لها باللعب مع أطفال من سنها؟

وشعرت بالكلمات تخرج من فمها من دون أن تعي ما تقوله: «يلزمه زوجة».

ـ أظنه فكر بالموضوع.

لا شك أن نساء كثيرات يتمنين أن يشغلن هذه الوظيفة. وجلّ ما عليه أن يفعله هو أن يختار واحدة منهن. ولكن الأمر لا يعنيها إطلاقاً، فلِمَ شعرت بتقلص مؤلم في معدتها لمجرد تفكيرها فيه؟

ـ حسناً! دعني أجر العربة، ويمكنك أن تلعب دور الحارس الشخصي.

كانت الحدائق جميلة والهواء منعشاً ونظيفاً. ألقت ريان فوق العربة ناموسية صغيرة لتقي الطفلة من لسع البعوض من جهة وعدسات التصوير البعيدة المدى من جهة أخرى..

ـ هل بدأت العمل مع سيدك منذ زمن بعيد؟

لم تغب عنها نظرات سانتوس المفعمة بالشك.

ـ نعم.

ـ هل تربطكما صداقة وثيقة تعود إلى سنوات مراهقته في نيويورك؟

ـ نعم.

أشاحت بنظرها بعيداً حتى لا يقرأ تساؤلاتها في عينيها، وتابعت تقود العربة على الطريق.

ـ لا يمكننا أن نجري حديثاً معاً إن اقتصرت أجوبتك على كلمة واحدة. أطمئنك إلى أنني في إجازة حالياً، والفيلم الوثائقي الخاص بمعلمك أصبح في العلب.

ـ لكن عملية المونتاج لم تتم بعد.

أحست ريان بنيران الغضب تستعر في داخلها، فالنفاق ليس من شيمها.

ـ لذا أراك تتوخى الحذر معي، في حال كنت أسعى لجمع معلومات جديدة أضيفها إليه.

ـ هذا ممكن.

ـ كلا اطمئن.

تابعا سيرهما بصمت، ما لبث أن خرقه سانتوس قائلاً: «لِمَ لا تحدثينني عن نفسك؟».

ـ تجد تفاصيل حياتي كلها في ملف جمعته عني بناء على طلب مانولو.

ـ إنه تدبير وقائي ضروري.

ـ ضد الأعداء القدامى الذين يضمرون له الشر؟

رمقها بنظرة حذرة: «تعنين الخطف والمطالبة بفدية؟ قلما يكترث مانولو لسلامته الشخصية، لكن ابنته موضوع آخر».

علا رنين هاتف خليوي فمد سانتوس يده ليسحب الجهاز من جيبه. أتراه مانولو يريد الاطمئنان على الطفلة؟

أدارت ريان العربة وبدأت تعود أدراجها وهي تعي بأن سانتوس يلحق بها.

ـ سيرسلون سيارتك إلى هنا بعد نصف ساعة.

اكفهر وجهها، فتابع يقول:

www.elromancia.com

ـ إنها أوامر مانولو.

كيف يعقل أن تشعر بالامتنان والامتعاض في آن معاً؟ وسمعت صوتاً صغيراً يردد في أعماقها «كوني لطيفة»، فقالت له: «شكراً».

كان حمام كريستينا مُسَلياً للغاية، وتخطى الوقت المخصص له لأن قلب ريان لم يطاوعها أن تحرم الطفلة من هذه اللحظات الممتعة، ما جعلها تفوت موعد العشاء. لكن كان عليها أن تطعم الطفلة وتضعها في سريرها وتشاهد التلفزيون لبعض الوقت ثم تصعد إلى غرفتها.

لم تجد خلال النهار، متسعاً من الوقت لتفتح هاتفها الخلوي. فأحست بأعصابها تتوتر عند رؤيتها سبع رسائل، خمس منها من روجر، ومن أرقام مختلفة. تصميمه العنيد على إغاظتها وإزعاجها، كان يجعلها تستشيط غيظاً. فكلماته تفقدها صوابها وتجرحها في الصميم، مع أنها تعلم جيداً بأنها صادرة عن عقل مريض.

لم تجد من داع للاتصال بوالديها أو أليكس حتى لا تثير قلقهم عليها. أما المحامي فسيكرر على مسمعها الكلام عينه حول آلية التغلب على المصاعب، كلام حفظته عن ظهر قلب. ومع أن أصدقاءها كثر، إلا أنها لم تكن مقربة سوى من البعض منهم لتتصل بهم في أي وقت. وإن فعلت سيرتابون حتماً بالأمر، ويلحون عليها لتوافيهم إلى مكان ما، ووقتها ليس ملكاً لها حالياً.

فارتأت أن تنزل إلى المطبخ وتعد كوباً من الشاي، ثم تقلب بعض المجلات الاجتماعية في قاعة التسلية. ولم تكد تنتهي من تحضير الشاي، حتى رأت سانتوس يدخل مسرعاً إلى المطبخ. وماتت البسمة على شفتيها أمام تعابير وجهه الغريبة.

ـ هل من خطب؟

ـ انطلق جهاز الإنذار.

لكنها لم تسمع شيئاً.

ـ الكاشف عن الحرارة، جهاز المراقبة التلفزيونية.

أحست ريان بالدم يجري في عروقها.

ـ مما يعني..؟

ـ هناك دخيل في الجوار

أسرعت تخرج من المطبخ وهي تصرخ: «كريستينا!».

ـ لم يدخل أحد إلى المنزل.

لم تنتظر ريان لتسأله كيف تأكد من ذلك، بل تسلقت السلم بسرعة وتوجهت نحو غرفة الطفلة.

كم كان ارتياحها عظيماً حين وجدتها ترقد بسلام في سريرها، فوقفت إلى جانب السرير تراقب تنفسها المنتظم. بدت أشبه بالملاك بملامح وجهها الدقيقة. وتنبهت ريان في تلك اللحظة إلى أن الشرطة قد تحضر إلى المكان بعد أن أطلقت أجهزة الإنذار.

ارتمت فوق أحد المقاعد الوثيرة وهي تفكر أن أفضل ما يمكنها القيام به خلال هذا الوقت هو البقاء بجانب كريستينا.

٥ ـ لا تلعبي بالنار!

عاد مانولو إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل ليجدها هناك. فوقف يتأملها وهي تتنفس بانتظام، وقد تركت شعرها الأشقر منسدلاً على كتفيها، وثنت رجليها تحتها واضعة رأسها على مسند المقعد.

كم كان نهاره حافلاً! صحيح أن اجتماعات العمل جرت على أحسن ما يرام، لكن ظهور فالانتينا فاسكيز في المطعم عينه الذي قصده برفقة زميل له ليتناول غداءه أثار انزعاجه. أطلق تنهيدة سخط، فعلاقات فالانتينا كثيرة وهي لا تتوانى عن استغلالها بلا رحمة.

ولم تستطع خداعه بتذرعها بالانغماس في التسوق في توراك. والأسوأ من ذلك، أنه عاد والتقى بها في المطار، ووجد أنها عائدة على متن الرحلة نفسها معه، وقد تدبرت أمرها لتشغل المقعد المجاور له.

وكأن ذلك كله لم يكفها، فرافقته إلى مرآب السيارات وعبرت، صراحة، عن رغبتها بأن يوصلها إلى المنزل. ووجد مانولو نفسه يرفض بتهذيب دعوتها المغرية لاحتساء فنجان قهوة عند وصولهما إلى منزلها، ما جعلها تمتعض أشد الامتعاض. وفي ختام النهار كان عليه أن يعالج مسألة محاولة الدخول خلسة إلى منزله.

وقف فترة طويلة من الزمن يتأمل المشهد أمامه، فابنته نائمة بسلام في سريرها فيما نامت ريان على المقعد بجوارها. وإذا به أمام خيارين لا ثالث لهما: فإما يدعها نائمة بسلام أو يوقظها برقة. وآثر مانولو الخيار الثاني، لكنه لم يتوقع أن تنهض بسرعة من مكانها وتتخذ وضعية الدفاع عن

النفس.

أحست ريان بيدين تشدان على معصمها، فراحت تركل برجليها لتبعد صاحبهما عنها، ثم سمعت تذمراً خافتاً فيما مال هدفها جانباً. وما هي إلاّ غمضة عين حتى وجدت نفسها تتدلى على كتف رجل حملها خارج الغرفة ووضعها على الأرض في الرواق بفظاظة. ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام المعتدي..

رباه! إنه مانولو ديل غاردو.

فتحت فمها لتتكلم إلا أن الكلمات ماتت على شفتيها. وتمكنت في نهاية الأمر من أن تتمتم قائلة: «آسفة، حسبت..».

ـ يعجبني أسلوبك.

كانت لا تزال تحت وقع ردة فعلها.

ـ آسفة.

التوى فمه بابتسامة ساخرة: «سبق وقلت ذلك».

ـ لم أكن أعلم أن هذا أنت..

ورفعت ريان يدها، ثم عادت وأنزلتها.

ـ تغط كريستينا في نوم عميق.

نادراً ما كانت تواجه صعوبة في إيجاد شيء تقوله. وتابعت: «أمضينا نهاراً جيداً».

ـ قيل لي ذلك.

أحست ريان بنفسها عالقة في ورطة لا قرار لها. لعل الوقت المتأخر هو السبب، أو ظهور مانولو غير المتوقع. تباً لها، ولردة فعلها الغريزية!

لكن شيئاً ما حدث هنا، وهي تشعر به بقوة. ترنحت قليلاً ربما من التعب أو من تأثير الصدمة، فمدت يدها محاولة أن تقف ثابتة وإذا به يضع يديه على كتفيها.

ـ هدئي من روعك!

بدا صوته هادئاً. هادئاً جداً.

- إنني بخير.

قالت ذلك على عجل وقد أحست بقلقه عليها. لعله يخالها ستقع أرضاً مغمياً عليها.. ولكن ذلك لم يحصل لها أبداً. تراجعت خطوة إلى الخلف وسألته: «هل قبضتم على الدخيل؟».

- تمكن من القفز من فوق الجدار. سجلت كاميرات المراقبة عملية فراره، لكن ذلك لم يجدِ نفعاً. كان يضع قناع تزلج.

جمد الدم في عروقها.. روجر؟ لا يمكنه أن يفعل ذلك.

- أريد أن أشاهد الشريط المسجل.

لم يحاول مانولو أن يدعي عدم فهمه مرادها: «لكن بنيته صغيرة وقامته أقصر من قامة زوجك السابق ببضع إنشات».

ما يعني أن روجر استخدم أحدهم لينفذ هذه العملية. أكان يقصد أن يزعجها أم يثبت لها مهاراته؟

ولكن، ألا يعقل ألا يكون متورطاً في حادثة اليوم؟ قطعاً لا.

لو كانت ريان إنسانة واعية بما فيه الكفاية، لعادت إلى شقتها في الحال. وسيكتفي روجر عندئذٍ بإرسال رسالتين أو ثلاث لها في اليوم، كما اعتاد أن يفعل من قبل. صحيح أن ذلك لا يروق لها، لكنها تعلمت كيف تتأقلم معه. زد على ذلك، إن رحيلها سيجنب الآخرين مخاطر كثيرة.

- كلا!

أخذ ذقنها يرتجف واتسعت عيناها: «عفواً؟».

- لا تلعبي هذه اللعبة!

- وهل أنت خبير في الاضطرابات النفسية؟

لطالما عانى من تأثيراتها في الماضي.. الغضب، الكبت، الضغينة التي تؤدي إلى تصرفات يتعذر التحكم بها.

كان الوقت متأخراً، وقد بلغ التعب منه مبلغاً، ولم يجد أي طائل يرجى من هذا الحديث.

- اذهبي إلى سريرك.

توهجت عيناها من الغضب.

- لا تعاملني كأنني طفل صغير.

أتراها تميل إلى مجادلته؟

- لم أكن أنوي ذلك.

اللعنة! إنها على حافة الانهيار، إذ زاغ بصرها وأخذت ترفرف بعينيها بسرعة لدى سماعه يشتم بصوت رقيق. وما هي إلا لحظة حتى أحاط وجهها بيديه ومال نحوها يعانقها.

رباه! يا لهذا العناق! وأقسمت في سرها بألا يطول الأمر أكثر من بضع ثوانٍ، مع أنها كانت تتوق بشدة لتدفىء رأسها في صدره. تصاعد في داخلها صوت يأمرها بالابتعاد عنه في الحال، وعبثاً حاولت الإذعان له فقد عانقها مانولو بشوق محموم وبادلته العناق بشوق مماثل.

إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بهذه اللهفة الحارة. كانت حواسها تنبض بالحياة والنشاط، باعثة فيها شعوراً بالبهجة والسرور. شعور تخطى الحدود كلها، كأنه أقواس قزح ملونة ونيازك، وأفلاك..

عليها أن تضع حداً له قبل أن تخرج زمام الأمور عن سيطرتها.

تنبه مانولو إلى مقاومتها فأطلق سراحها على الفور من دون أن ينبس ببنت شفة. ثم مرّر أصابعه برقة على خدها، فإذا بها تتمتم بكلمات مبهمة وتستدير بسرعة لتهرع إلى غرفتها من دون أن تدرك أنه بقي واقفاً في مكانه حتى اختفت عن ناظريه.

ما الذي حصل بينهما؟

تحولت محاولته تهدئة الأجواء إلى شيء مختلف كلياً.. ليته لم يكن متعباً إلى هذا الحد، ليعي أبعاد ما حصل!

دخل مانولو إلى جناحه، وأقفل الباب خلفه، ثم راح يخلع ملابسه وقد نسي أمر الشراب الساخن وتوجه إلى الحمام وفتح الماء البارد ووقف تحته.

لم ترَ ريان أثراً لمانولو عند نزولها من غرفتها في صباح اليوم التالي لتتناول فطورها. وأحست بارتياح عظيم حين أخبرها سانتوس بأنه غادر إلى مكتبه في المدينة.

أترى النوم جافاه مثلها أيضاً؟ فقد قضت الليل تتقلب على فراشها، وتحلل عناقه لها من زوايا مختلفة، كأنه أحجية هندسية معقدة. وعادت تؤكد لنفسها للمرة الألف، وهي تعبث بكوب عصير البرتقال، وطبق البيض المقلي بيد، وتحرك فنجان القهوة باليد الأخرى، بأن ما فعله لم يكن مجرد تصرف عشوائي متهور. خرجت إلى الشرفة لتستنشق الهواء المنعش وجلست إلى الطاولة الصغيرة، تحاول أن تنهي طعامها. لقد استلمت صباح اليوم رسالتين من روجر ولكنها لم تستطع أن تستشف من مضمونهما، ما إذا كان متورطاً في حادثة البارحة.

كانت كريستينا مصدر سعادتها، تضحك لها كلما حملتها بين ذراعيها، وتقهقه كلما لاعبتها. لكن مهمتها في هذا المنزل سوف تنتهي بعد أيام قليلة وبعدئذٍ ستعود إلى حياتها السابقة، فلا تطأ قدمها ثانية عتبته، ولا ترى عيناها مانولو أو ابنته. وفكرت بأن تستمتع بكل دقيقة تمر، فقررت أن تتناول عشاءها في غرفة الطفلة، وادعت أنها تود قضاء المزيد من الوقت برفقتها. غير أن محاولتها تفادي رؤية مانولو باءت بالفشل.. إذ لم تكد تنهي شرب الحليب حتى فوجئت به يدخل إلى الغرفة.

كانت تشعر بالتوتر طيلة النهار وهي تفكر في هذه اللحظة المحتومة، فلم تجد أمامها سوى أن تبتسم له وتتصرف بشكل طبيعي. لكن قلبها أخذ يتخبط بين ضلوعها وسارعت الحرارة تغزو شرايينها..

أيعقل أن يزعزع عناق واحد منه كيانها كله؟ مستحيل!

ـ قال لي سانتوس إنكم لم تواجهوا أي مشكلة خلال النهار.

وافتر ثغره عن ابتسامة ساحرة وهو يمد يديه ليأخذ ابنته: «وأنت يا عزيزتي.. هل كان نهارك جيداً؟».

أخذت كريستينا تقهقه وتحرك رجليها بسرعة وهو يحضنها إلى صدره.

نهضت ريان من مكانها وتوجهت نحو الباب، غير أن مانولو مد يده وأمسك بذراعها قائلاً: «علينا أن نتحدث معاً».

ـ من المفترض أن أضع كريستينا في سريرها لتنام بعد ساعة ونصف.

وأحست بغصة مفاجئة في حلقها فابتلعت ريقها بصعوبة وأضافت: «سأدعك تقضي معها بعض الوقت فيما أنجز بعض الأمور».

لم يفته خفقان نبضها المتسارع البادي عند طرف عنقها، وكبت الرغبة التي اجتاحته بالتخفيف عنها، فتركها تغادر الغرفة من دون أن يأتي بحركة.

بذلت ريان جهداً كبيراً لتحافظ على برودة أعصابها إلى أن تدخل غرفتها وعندها أطلقت العنان لتوترها الذي راح يمزق رباطة جأشها إرباً إرباً. فتحت هاتفها الخليوي، فوجدت ثلاث رسائل من روجر مفعمة بالضغينة كالمعتاد، وواحدة من طوني للاطمئنان عن أحوالها فحسب، وأخرى من والدتها تسألها عن أخبارها هذا الأسبوع. فردت عليها برسالة مقتضبة جاء فيها: «الأمور تسير على خير ما يرام.. أحبك». وبعثت لطوني رداً مماثلاً.

عند عودتها إلى غرفة الطفلة، وجدت مانولو يغطي كريستينا المسترسلة في نوم عميق بغطاء رقيق، فوقفت عند الباب تنتظره ليضبط النور ويقودها خارجاً وهو يقول: «ستتحدث في غرفة المكتب».

جلُّ ما كان يحتاج إليه في تلك اللحظة هو أن يأخذ حماماً ساخناً ويحلق ذقنه، ويتناول طعامه ليتمكن بعدها من السهر حتى ساعة متأخرة، وإنجاز بعض الأعمال العالقة. لكنه فضّل أن ينهي هذه المسألة أولاً، فأدخلها إلى

غرفة المكتب الفسيحة المليئة بالكتب، وأومأ إليها بأن تجلس، ثم اتخذ من حافة المكتب الخشبي متكئاً له وقال: «اتصلت الوكالة بنا اليوم لتعلمنا عن عثورها على مربية تريد أن تبدأ العمل صباح الغد».

حري بها أن تحمد الله فما سبب مرجة الحزن التي اجتاحتها فجأة؟

- سأغادر بعد الفطور

هز مانولو كتفيه بلا مبالاة وأجابها: «كما تشائين».

إنه الحل الأفضل للجميع! عليها أن تغادر هذا المنزل وتتابع حياتها وتنسى هذه الحقبة الفاصلة فيها.

- أشكرك لأنك وافقت على أن تشغلي هذه الوظيفة خلال الأيام القليلة الماضية

ثم سحب شيكاً من جيبه ومد يده ليناولها إياه.

- إنه مجرد تعبير عن امتناني لك لاهتمامك بابنتي.

لم تحرك ريان ساكناً، لكنها قالت: «لا أريد مالك».

ضاقت عيناه قليلاً «ولكننا اتفقنا».

- كلا! عرضت علي مبلغاً من المال ولكنني لا أذكر أنني وافقت.

- ريان

نهضت من مكانها ونظرت إليه بحزم: «سيتصل بك مدير البرنامج التلفزيوني فور الانتهاء من عملية المونتاج، وسنرسل لك نسخة عنه، لتعطي موافقتك النهائية عليه قبل عرضه».

إنها الكبرياء.. أقر مانولو بذلك في سره وقد أثار تصرفها إعجابه.

- سأطلب من سانتوس أن يرسل إليك الشيك عبر البريد.

برقت عيناها ببريق أخضر ناري. متى تحول لونهما إلى الأخضر؟ راح يتأملها وقد وقع لبرهة من الزمن أسير سحرها. بدت قامتها النحيلة المستقيمة متناغمة تماماً مع وقفتها المتوازنة الأشبه بوقفة راقصة محترفة أو لاعب جودو يستعد للضربة القاضية.. وإذ تذكر ما حصل بينهما الليلة

الماضية، آثر الخيار الأخير.

قالت له ريان بصوت هادىء: «افعل ذلك وسأعيده مختوماً»

لم تجد عبارات أفضل تقولها قبل أن تغادر المكان، فاستدارت على عقبيها وخرجت من الغرفة بخفة ثم أغلقت الباب خلفها أبت أن تطلق العنان لدموعها وهي تردد في سرّها بأن الدموع للضعفاء فحسب.

عند وصولها إلى جناحها، انهمكت لدقائق قليلة في توضيب أغراضها ثم حملت ثياب نومها ودخلت لتستحم. وقفت تحت المياه الساخنة تشتم نفسها وتنعتها بالغباء، وعادت تردد العبارات نفسها وهي على وشك أن تغفو.

استيقظت ريان باكراً على صراخ كريستينا فبدّلت لها حفاضها، وأعطتها رضاعة الحليب، ثم وضعتها في سريرها مع مجموعة من الدمى الملونة الناعمة، وعادت إلى غرفتها لترتدي ملابسها.

كان السكون يلف المنزل ووحدها قهقهات الطفلة الخافتة تتردد في أرجائه عبر المرقاب فعادت إلى غرفتها من جديد لتعد جدولاً بالمواعيد للمربية الجديدة. ما هي إلاّ ساعات قليلة حتى ترمي حقيبتها في صندوق سيارتها وترحل. ليتها تستطيع أن تفعل ذلك من دون أن تواجه مانولو ديل خاردو! غير أن السماء صمت أذنيها عن توسلاتها.

سمعت صوتاً في داخلها ينصحها بأن تتظاهر بالهدوء وتبتسم له وكأن شيئاً لم يكن.

يا لسوء حظها! لم تكد عيناها تقعان عليه وهو يدخل إلى غرفة الطفلة، حتى عادت ذكرى عناقه لتستحوذ على أفكارها! بدا واضحاً أن مانولو حلق ذقنه واستحم حديثاً، إذ كان شعره الداكن مبللاً وقد ارتدى بنطلوناً أسود، تعلوه قميصاً زرقاء رسمية، أظهرته في صورة الرجل الديناميكي القوي. إنها صورة تليق به، فهو قادر حتماً على تحمل المسؤوليات الهامة الملقاة على عاتقه بحزم يشتهيه الكثيرون، ولا يملكه إلا

القليلين بالفطرة.

علاوة على ذلك، كان مانولو خبيراً في معاملة النساء والتقرب منهنّ. والحق يقال أن مواهبه كعاشق قد تجعلهن يفقدن صوابهن. مواهب لا يستعملها إلا عن خبرة، فتثير الأحاسيس وتشعلها حتى الاحتراق.

اللعنة! ما الذي أصابها؟

ـ صباح الخير!

بدت نبرة صوتها هادئة وعادية جداً، أتراه حدق فيها طويلاً قبل أن يرد عليها تحية الصباح؟ وتمنت ألا يكون قد فعل.

ـ سأنزل لأتناول فطوري وأتركك برفقة كريستينا.

لم يحاول أن يردعها، فنزلت إلى المطبخ، واختارت موزة من طبق الفواكه وحملت جريدة الصباح ثم خرجت إلى الشرفة.

داعبت أشعة الشمس الدافئة بشرتها. حاولت ريان أن تركز اهتمامها على العناوين الرئيسية، إلا أنها لم ترَ أمامها إلا كلمات مبعثرة مطبوعة. كانت الموزة شهية حتماً، إلا أنها أحست تحت لسانها بطعم أشبه بطعم نشارة الخشب.

ـ نسيت أن تشربي القهوة.

رفعت عينيها إلى سانتوس فيما كان كوب القهوة أمامها على الطاولة وقالت له: «شكراً لك».

ـ هل ستبقين إلى حين وصول المربية؟

ـ متى يفترض بها أن تصل؟

ـ حوالي الساعة التاسعة.

ـ حسناً!

سترحب بها وتعطيها جدول المواعيد ثم ترحل.

كانت القهوة لا تزال ساخنة، فأضافت إليها السكر وراحت ترتشفها على مهل، محاولة أن تلهي نفسها بأخبار الصحف.

كم من الوقت يقضي مانولو ديل غاردو برفقة ابنته صباح كل يوم؟ خمس عشرة دقيقة؟ عشرين دقيقة؟ ما يعني أنه سينزل بين لحظة وأخرى ليتناول فطوره، ومن الأفضل لها أن تتفادى رؤيته. وإذ همت بمغادرة المطبخ، فوجئت به أمامها، فنظرت إليه مبتسمة وقالت له: «كنت خير مضيف، أشكرك!».

فقد علمها والداها أصول التهذيب منذ نعومة أظافرها.

ـ لا شكر على واجب.

لو قدر لها أن تبقى تحت سقف منزله مدة أطول، لأصبحت مصدر لهو له، ضاربة بعرض الحائط تحذيرات عقلها كلها!

ـ حان وقت إطعام كريستينا.

هل أدرك أنها تريد الفرار منه؟ وكأن الأمر يهمها!... ولكنه يهمها حقاً..

وصلت المربية الجديدة عند الساعة التاسعة تماماً، فوجدت ريان ذلك فألاً حسناً، لأن الدقة في المواعيد ميزة جيدة.

أدخل سانتوس المرأة إلى المطبخ وتولى تقديمها إليها. اختارت المربية الجديدة أن ترتدي الزي الخاص بالممرضات، وحذاءً خفيفاً مسطحاً وقبعة صغيرة، ما أضفى عليها صورة المرأة الكفوءة. علا صراخ الطفلة عبر المرقاب، فقاد سانتوس المربية الجديدة إلى الطابق العلوي ورافقتهما ريان بعد إلحاح شديد من المرأة.

ـ من الضروري أن تعرّف المربية السابقة الطفلة على المربية الجديدة.

لم تكن ريان متأكدة من ذلك وهي تسمع صراخ كريستينا المتزايد.

ـ عليك أن تحمليها وتعطيني إياها لتفهم بأنني المسؤولة عنها من الآن فصاعداً.

ذكرتها ريان بلطف: «تدعى كريستينا».

ـ نعم، طبعاً.

أجهشت كريستينا بالبكاء، واخذت ملامح وجهها تحمر اكثر فاكثر.

- لا أظن أنها فكرة جيدة.

رمتها المربية بنظرة متغطرسة: «إنني الخبيرة هنا».

هذا غير قابل للجدل ولكن ما رأيها بالقليل من الحنو والعطف!

تصاعد صراخ كريستينا فيما راحت عيناها الداكنتان تتنقلان من شخص إلى آخر واليأس بادٍ فيهما. رفعت ريان عينيها لتقابل نظرات سانتوس المبهمة، ثم اقتربت من السرير وحملت كريستينا بين يديها، فتحول بكاؤها إلى حازوقة مزقت فؤادها، فيما أخذ جسدها الصغير يرتجف.

- وضعت جدولاً بمواعيد إطعام كريستينا.

حاولت ريان أن تحافظ على هدوئها ولكنها لم تفلح، وأشارت إلى خزانة داخل الجدار وأضافت: «وهنا الملابس والحفاضات والحليب. والآن عليك أن تطعمي كريستينا وتضعيها في سريرها لتنام قليلاً».

نظرت المربية إلى ساعتها: «سأدخل بعض التعديلات على الجدول».

ثم ابتسمت لها ابتسامة مصطنعة وأضافت: «أعطني الطفلة».

والتفتت بعدها نحو سانتوس وتابعت تقول والابتسامة تعلو ثغرها: «يمكنك أن تجلب حقائبي، وبعد أن أنتهي من إطعام الطفلة، تريني غرفتي».

تلاشت الابتسامة عن ثغرها وهي تأخذ كريستينا بين ذراعيها قائلة: «من الأفضل أن تغادرا الغرفة لأتمكن من التعرف على الطفلة».

أرادت أن تضم كريستينا إلى صدرها وتطلب من المرأة أن تعود من حيث أتت، إلا أنها لا تملك الحق بذلك. أعطتها الطفلة وانسحبت من الغرفة بهدوء. كان صوت كريستينا يتردد في أذنها وهي تنزل السلم إلى جانب سانتوس، أتراه شعر بالصراع القائم في داخلها، لكبح جماح دموع

صامتة كانت تترقرق من عينيها؟ أتراها سالت على خديها؟ كم خشيت أن يكون قد رآها!

كانت حقيبتها قد وضعت في صندوق السيارة، ولم يكن أمامها سوى أن تودع سانتوس وتجلس خلف المقود، وترحل. ودعته بكلمات قليلة وابتسامة واهية، وانطلقت مسرعة تجتاز البوابات المفتوحة. وشعرت بتحطم فؤادها.

لأسبوع خلا، كانت قادرة على دحض هذا الادعاء، أما الآن، فلم تعد واثقة من ذلك.

www.elromancia.com

٦ ـ لا يُقاوَم

ما إن وصلت ريان إلى شقتها حتى راحت تنجز الأعمال المنزلية الروتينية وذلك قبل أن تفتر همّتها. قامت بعدئذٍ بالاتصال بأصدقائها لتتفق معهم على الخروج سوياً للذهاب إلى دور السينما. وهمها الوحيد أن تشغل نفسها ليل نهار فلا يتاح لها الوقت للتفكير إلا لماماً.

كادت خطتها أن تنجح، إذ شغلت نفسها لغاية نهار الأحد، فقضت النهار بطوله برفقة مجموعة من الأصدقاء يطوفون في أرجاء المرفأ الداخلي. كان الطقس مشمساً وحاراً، فأقاموا حفلة شواء في المتنزه المجاور، ولم ترجع إلى شقتها إلا عند التاسعة مساءً.

ـ إلى اللقاء، وأشكركم لأنكم أوصلتموني إلى المنزل.

وقفت عند حافة الطريق تنظر إلى السيارة وهي تبتعد في ظلمة الليل. دخلت ريان إلى البهو والإحساس بالبهجة يغمر قلبها، فقد قضت النهار بطوله من دون أن تسمح لطنين جهاز المناداة أو لرنين هاتفها الخليوي أن يعكرا عليها سعادتها. عقدت العزم وهي تغلق باب شقتها خلفها على أن تستحم وتشاهد التلفزيون لبعض الوقت، ثم تخلد إلى فراشها باكراً.

رأت ضوء المجيب الآلي يومض فتفحصته لتجد سبع رسائل على المسجل الرقمي. كانت الثلاث الأولى من روجر، وشعرت بالاشمئزاز وهي تسمع مضمونها الذي لطالما كرره على مسمعها، وأرادت أن تصرخ قائلة له «اذهب في سبيلك ودعني بسلام»، لكن ما الفائدة من التحدث إلى آلة لا حياة فيها!

ووجدت رسالة من طوني يدعوها لتناول البيتزا خلال الأسبوع، وواحدة من والدتها وأخرى من شقيقها أليكس. أما المفاجأة فكانت حين سمعت صوت سانتوس تاركاً لها رسالة، وتحققت من الرقم الذي طلب منها الاتصال به مرتين.

ترددت قليلاً في بادىء الأمر، إلا أنها عادت ورفعت السماعة وطلبت الرقم. رن الهاتف ثلاث مرات قبل أن يجيب سانتوس.. وبعد التحية والسلام قال لها: «سأحولك».

تسارع خفقان قلبها وأحكمت قبضتها على السماعة حين جاءها صوت مانولو على الطرف الآخر من الخط: «ريان، هل يمكننا أن نتقابل هذا المساء؟».

أثار صوته رعشة في أحشائها.. ما الذي يريده منها هذا المساء؟

ـ أود دعوتك لتناول القهوة، لن تستغرق الجلسة أكثر من ساعة. سأمر لاصطحابك.. لنقل بعد خمس عشرة دقيقة، اتفقنا؟

تباً! كانت بشرتها ملطخة ببقايا الكريم الواقي من أشعة الشمس وشعرها مبللاً برذاذ موج البحر.

ـ حسناً، لكن بعد نصف ساعة! أوافيك عند مدخل المبنى، إنه..

ـ أعرف العنوان.

وأقفل الخط قبل أن تسنح لها الفرصة لتقول كلمة واحدة.

هرعت إلى الحمام لتغسل شعرها، وهي تتساءل في سرها عما إذا كانت كريستينا ومربيتها الجديدة هما السبب.

لكن إن طلب منها أن تلعب دور المربية البديلة ثانية ستعتذر منه، فمن الجنون أن تقيم معه تحت سقف واحد. ربما كان من الأفضل لها أن تتصل به وتلغي الموعد، مع أنها لن تجده في المنزل.

اللعنة! لمَ لم ترفض مقابلته؟ ألأنه أخذها على حين غرة ولم يترك لها الفرصة للتفكير؟

حسناً . . يمكنها أن تتناول القهوة معه، وتقول له إن عرضه مهما كان نوعه لا يهمها. أتراها ستجد صعوبة في قول ذلك؟

نشفت شعرها جيداً، واختارت ملابس داخلية نظيفة، وبنطلوناً أنيقاً تعلوه قميص قطنية رقيقة، ثم انتعلت حذاء ذا كعب عال وعقصت شعرها إلى الخلف، ووضعت القليل من أحمر الشفاه. وأخيراً، حملت مفاتيحها وحقيبة يدها وغادرت شقتها من دون أن تضيع لحظة واحدة.

كان مانولو واقفاً بقامته الطويلة أمام مدخل المبنى، فأحست بهالة من القوة تنبعث منه، وتخترق زجاج الأبواب البلوري لتصل إليها وتثير اضطرابها. أضف إلى ذلك جاذبيته الجسدية التي تجعل تأثيره على سائر النساء مدمّراً، فما حال توازنها هي؟ حسناً، يمكنها أن تلعب دور المرأة المهذبة والودودة، دور يشكل جزءاً من شخصيتها وعملها في آن معاً.

ـ سيارتي هناك.

وأشار بيده إلى سيارة أستون مارتن فخمة مركونة في الموقف المخصص للزائرين، فمشت إلى جانبه من دون أن تتفوه بكلمة.

داخل السيارة جدت نفسها قريبة جداً منه ورائحة عطره المسكي المميز تعبق في أنفها، أمّا جاذبيته الجسدية التي تنضح منه من دون أن يبذل أي جهد، فكانت تشعل حواسها.

أحست ريان بأنفاسها تتقطع وقلبها يتخبط بين ضلوعها، كما شعرت بالحرارة تغزو شرايينها. وعادت تمر في ذهنها ذكرى عناقه العاصف، ويديه المتسللتين إلى شعرها تلامسان خصلاته. حري بها أن تشكر الله لأنه لم يحاول أن يتخطى هذا الحد. أقرت بذلك في سرها وهي تتأمل المشهد الليلي المنبسط أمامها في دوبل باي.

كانت المقاهي تعج بالناس ولم تحاول أن تخفي دهشتها وهو يتوقف أمام مدخل فندق كارلتون ريتز الفخم.

ألقى الحاجب عليه تحية تدل على معرفة سابقة، ثم استدعى البواب

ليهتم بسيارة مانولو. فتحت الأبواب أمامهما، وألقيت عليهما التحيات، ولم تنبس ريان ببنت شفة وهو يقودها عبر الرواق، إلى ركن منعزل ويشير إلى طاولة ومقعدين وثيرين.

ـ أريد فنجاناً من القهوة.

قالت ريان ذلك فيما كان النادل يتوجه بخفة نحوهما.

طلب مانولو القهوة لكليهما، ثم جلس في كرسيه، وراح يحدق بها قائلاً: «أفضل أن أتمتع ببعض الخصوصية».

بدا كلامه منطقياً نظراً لعدد الزبائن الهائل في المقاهي.

عاد النادل حاملاً القهوة والسكر والحليب فضلاً عن طبق من البسكويت. أضافت ريان السكر إلى كوبها وبدأت تحركه. . مضى وقت طويل لم تشعر فيه بصعوبة في إجراء حديث مع أحدهم. عما يجدر بها أن تحدثه؟ عن الطقس؟ رفعت يدها تشير إلى القهوة متسائلة: «هلا أوضحت لي سبب هذا كله؟».

أخذ وقته في وضع السكر في الكوب.

ـ لا بد من وجود سبب ما.

لم تخل ريان أنه من النوع الذي يقدم على أي خطوة قبل أن يفكر فيها ملياً.

أجابت ببساطة: «أجل».

ـ يا لحدة ملاحظتك!

رفع كوبه وارتشف القليل من القهوة ثم أعاد الكوب إلى الصحن: «لقد أعدت إليّ الشيك».

نظرت في عينيه وأجابت: «هل توقعت ألاّ أفعل ذلك؟».

أهذا جزء من لعبة ما؟ سحب الشيك من جيبه ووضعه على الطاولة قائلاً: «أصر على أن تأخذيه».

كبتت رغبتها في ضربه، وعوضاً عن ذلك مالت إلى الأمام وأخذت

الشيك ثم مزقته إرباً إرباً رمتها بهدوء على الطاولة.

ظهرت في عينيه تعابير التسلية ثم قال: «يمكنني أن أحرر شيكاً آخر».

ـ لم أهتم بكريستينا بهدف الحصول على المال. على فكرة، كيف حالها؟

لم تتبدل تعابير وجهه مع أن عينيه ضاقتا قليلاً فظهرت الخطوط الدقيقة المحيطة بهما بشكل واضح.

ـ لم تذق طعم الراحة منذ رحيلك.

بدت إمارات الأسف في عينيها، وحاولت جاهدة أن تسيطر على نوبة الحزن التي اجتاحتها. يا للمسكينة!

ـ يؤسفني أن أسمع ذلك.

ـ نعم.

وظهرت ابتسامة حزينة عند طرف فمه.

ـ غادرت المربية المنزل بحجة أن الطفلة صعبة جداً وتحتاج لعناية خاصة.

ـ هذا هراء!

تفوهت تلقائياً بتلك الكلمة من دون أن تعي عواقبها.

ـ تحتاج كريستينا إلى شخص ثابت في حياتها وليس إلى سلسلة من المربيات.

ـ أوافقك الرأي.

وبدا فجأة مشغول البال.

ـ لا أجد أمامي حلاً أفضل من الزواج ثانية لأؤمن لها والدة.

لمَ شعرت بالغثيان عند سماعها هذا الاقتراح؟ غيبة! إلى أين حسبت ذاك العناق سيؤدي بك؟

ـ تهانينا!

ـ هذا سابق لأوانه، فأنا لم أعرف رأي السيدة بعد.

استقامت ريان في مجلسها وهي تحاول أن تسيطر على القشعريرة التي اعترتها.

ـ أشك في أن ترفض طلبك، أياً كانت.

ابتسم لها بسخرية: «لأنني سأؤمن لها حياة رغيدة طوال العمر؟».

ـ تعتبر معظم النساء ذلك حافزاً أساسياً.

ـ وأنت؟

مع أن ريان لمست لمس اليد ما يكتسبه المرء من الثراء إلا أنها تدرك أن هذه المكاسب ليست دوماً إيجابية.

ـ لا أظن أن المال والأملاك هما جوهر الحياة!

ـ مع أنك لم تعرفي الفقر يوماً!

ـ كان والداي يتمتعان بشيء من الحكمة، فقدما لنا كل ما نحتاج إليه، فضلاً عن بعض الأشياء التي كنا نحلم بها. ولكنهما علمّانا أن نسعى جهدنا للحصول على ما نريده..

أحنى مانولو رأسه احتراماً، ثم سألها: «وما هو المهم في نظرك؟».

أجابته في الحال:

ـ الصدق والاستقامة والحب.

حدق بها وقد بدا الفضول على وجهه: «لم أكن في الجوار حين تم توزيعها».

ثم ارتشف قهوته جرعة واحدة، ووضع فنجانه جانباً وسألها:

ـ أما زالت اتصالات زوجك السابق تثير لك المتاعب؟

ـ لا أرى علاقة ذلك بالموضوع.

ـ اعتبري ذلك مسايرة لي.

ـ أتريد تفاصيل؟.

ورمته بنظرة ثاقبة ثم أضافت: «يتراوح عدد الاتصالات خلال الأربع والعشرين ساعة ما بين السبعة والعشرة، بعضها رسائل خطية

www.elromancia.com

وبعضها رسائل صوتية».

وأحياناً يتخطى عددها العشرة، وفقاً لأهمية الشخص الذي تجري معه مقابلة، أو لمكان العمل.

- ولكن بحكم عملك كمقدمة برامج تلفزيونية يمكنه أن يراك باستمرار من خلال الشاشة.

- شأني في ذلك شأن كل ما يقف أمام الكاميرا.

- لكنه ليس مهووساً بأحد سواك.

- كلا.

- هل خطر لك يوماً أن تختاري ميداناً آخر؟

رفعت رأسها وسألته: «مثل ماذا؟».

- الزواج.

- أبداً. لن أكرر الغلطة عينها مرتين.

- لكن الزواج قد يؤمن لك نوعاً من الحماية.

- أتقصد أن أرتبط بشخص بارز في المجتمع؟

غير أنها عادت ونظرت إلى الموضوع من منظار آخر.

- أم أن أستمتع بعلاقة حميمة؟

لم تتبدل تعابير وجه مانولو: «أي من الخيارين يروق لك أكثر؟».

- أفضل ألاّ أجيب عن هذا السؤال.

- ماذا عن العائلة؟ أليس للأولاد مكان في معادلتك؟

اعتصر الألم فؤادها.

- خطر لي أن أتبنى ولداً كأم عزباء، غير أنني لا أستطيع أن أترك عملي، وعلي أن أضعه في حضانة نهارية أو أجد له مربية، وهذا يسيء كثيراً إلى الطفل.

- اتفقنا على أن كريستينا تحتاج إلى أم، و.. أقترح عليك أن تلعبي هذا الدور.

حبست ريان أنفاسها وكأن كلامه بلغ مراده. فأسرع مانولو يوضح كلامه وقد أدرك أنها أساءت فهمه: «بصفتك زوجة لي».

نظرت إليه وقالت: «إنك مجنون».

تقابلت نظراتهما.

- أحقاً؟

- لمَ تريد الزواج مني؟

- تحتاج كريستينا إلى وجود امرأة في حياتها، امرأة تحبها وترعاها وكأنها ابنتها، وأظنها تعلقت بك بقدر ما تعلقت بها.

سألته ريان بحذر: «ألهذا السبب وجدت فيّ المرأة المثالية؟».

- سنوقع عقداً يقضي بأن أدفع لك مليوني دولار عن كل سنة زواج، علاوة على تسهيلات مالية عبر بطاقات الاعتماد يبلغ مجموعها السنوي مليوني دولار، أما المجوهرات والهدايا فيمكنك اعتبارها علاوة إضافية وقبل الزواج سنوقع عقداً يضمن لك مبلغاً كبيراً في حال الطلاق.

- في المقابل، تحصل على أم لابنتك، ومضيفة اجتماعية، وامرأة في سريرك.

أحست بنيران الغضب تستعر في داخلها، فتابعت تقول: «وذلك كله ضمن صفقة واحدة».

- إنها صفقة العمر.

- كنت تبلي حسناً إلى أن أتيت على ذكر الصفقات والاتفاقات.

ونهضت من مكانها، وقد شعرت ببعض الارتياح لأنها بدت، وإن للحظات قليلة، أطول منه قامة. لكن يده أطبقت على معصمها ثم قال: «لم أنهِ كلامي بعد».

لم يحكم قبضته على معصمها لكنها أدركت أنه لن يتوانى عن القيام بذلك إن حاولت الإفلات منه. ثم قال لها بصوت خافت: «أرجوك، اجلسي واسمعيني حتى النهاية».

www.elromancia.com

- حسناً.

- كريستينا تحتاج إليك!.

سرت رعشة على طول عمودها الفقري فارتمت في مقعدها قائلة: «إن أي امرأة تحيطها برعايتها تفي بالغرض»

- لكن كريستينا لا تريد أحداً سواك!

كانت نبرة صوته رقيقة بشكل خطير: «إنني أعرض عليك زواجاً مريحاً، مبنياً على الصداقة والاحترام المتبادل».

صديقان وعاشقان! أحست بمشاعرها تشتعل لمجرد تفكيرها فيه كعاشق لها.

- ستكسب أماً لابنتك، فيما أكسب أنا طفلة أحبها بكل جوارحي. لا آمال أو وعود كاذبة!

وختمت كلامها بابتسامة واهية.

- تماماً.

أيمكنها أن تفعل ذلك؟ أتجرؤ على القيام به؟

- هلاّ منحتني بعض الوقت لأفكر بالموضوع.

- سأتصل بك غداً.

قفز قلبها من مكانه.

- بقي أمر آخر.

- نعم؟.

- إنني أملك ما يكفي من المال.

وأخذت نفساً عميقاً ثم تابعت تقول:

- لا أحتاج إلى مالك.

رباه! عليها أن تغادر هذا المكان في الحال وإلا غرقت في بحر من العواطف الجياشة.

- لا داعي لأن ترافقني.. سأطلب سيارة أجرة.

أخذ ورقة نقدية من جيبه ودسها تحت الصحن ثم هب واقفاً وقال: «سأقلك إلى المنزل!».

- أفضّل ألاّ تفعل.

وسرعان ما ابتعدت عن الطاولة وعبرت الرواق بخطى سريعة إلى المدخل الرئيسي، وطلبت من الحاجب أن يستدعي لها سيارة أجرة. لم تحاول أن تنظر وراءها لترى ما إذا كان مانولو يتبعها. وما إن وصلت إلى شقتها، وأقفلت الباب خلفها حتى أطلقت العنان لمشاعرها.

لم يعرف النوم سبيلاً إلى جفونها، واستيقظت في اليوم التالي وهي تشعر بصداع أليم. وأقرت في سرها فيما كانت ترتدي ملابسها للذهاب إلى العمل، بأن ذلك ليس غريباً بعد أن فاجأها مانولو بعرضه ذاك.

كان الازدحام خانقاً في تلك الساعة من النهار، ووصلت ريان إلى مبنى المحطة التلفزيونية متأخرة بضع دقائق.

لم تكد تدخل إلى مكتبها حتى انهالت الأعمال المتراكمة عليها، فبعد إجازة استمرت لأسبوع بكامله وجدت كومة من الأعمال المكتبية بانتظارها، ومجموعة من الاتصالات الملحة، وسيلاً من المعلومات يجب عليها جمعها.. وبقيت تعمل حتى ساعة متأخرة علها ترتب أمورها. بعد نهار طويل من الفوضى، غادرت ريان المبنى عند السابعة واتجهت نحو مرآب السيارات المخصص للموظفين.

شعرت أنها بحاجة ماسة لشراب منعش، وحمام ساخن وطعام تأكله.. يمكنها بعد ذلك، أن تعمل لساعة أو لساعتين على الكومبيوتر.

أحنت رأسها قليلاً تبحث عن مفاتيحها في حقيبة يدها، ولما عادت ورفعته فوجئت برؤية مانولو يترجل من السيارة المركونة إلى جانب سيارتها، فتسمرت في مكانها وقد اشتبكت نظراتهما. كان يرتدي بذلة سوداء رسمية، وقميصاً زرقاء داكنة، ويضع ربطة عنق حريرية ملائمة مما زاد من حدة قساوته التي ورثها بالفطرة.

www.elromancia.com

ـ هل كان نهارك سيئاً؟

خلت نبرة صوته من التهكم فابتسمت له ابتسامة مهذبة وأجابت: «أكثر مما تظن».

تأمل ملامح وجهها الشاحبة وعينيها الداكنتين وسألها: «هل تناولت طعامك؟».

طعام؟ تذكرت بأنها تناولت سندويشاً قرابة الظهر.

ـ كلا.

ـ وأنا أيضاً! هل نذهب في سيارتك أم في سيارتي؟

ـ لا أظن..

ـ أتفضلين أن نقصد مطعماً أم مقهى؟ أو ربما نتناول وجبة سريعة في السيارة؟

ألا يبدو الإنهاك جلياً عليها؟

ـ مانولو...

ـ أرجوك.

ـ أعرف مطعماً قريباً من هنا.

إنه مطعم تقصده كلما تأخرت في العمل.

ـ يستحسن أن تلحق بي في سيارتك.

أخذ المفاتيح من يدها وفتح قفل السيارة ثم أعادها إليها، فلامست أصابعه الدافئة أصابعها مثيرة حواسها. ولم تدرك أنها حبست أنفاسها إلى أن جلست خلف المقود.

طوال النهار حاولت أن تعدّد حسنات الزواج من مانولو ديل غاردو وسيئاته، وتوصلت إلى جواب نهائي، من الغباء أن تتجاهل عرضه هذا. وكلما رن هاتفها كانت تتخيل بأنه المتصل، فتضطرب وتغرق نفسها في المزيد من الفوضى.

يقع المطعم الإيطالي الصغير على مقربة من مكان عملها. وفي غضون

دقائق قليلة، كانا يجلسان إلى إحدى الطاولات وقد طلبا الطعام. يتميز المطعم بجوه الحميم الدافىء، وحاولت ريان أن تقاوم إحساسها القوي بالرجل الجالس بقربها.

ـ هل تراكمت الأعمال عليك منذ اليوم الأول لعودتك إلى العمل بعد الإجازة؟

ـ أيبدو ذلك جلياً إلى هذا الحد؟

لم تقابل يوماً رجلاً يتمتع بعقل سليم، يقول لامرأة إنها تبدو متعبة أو مرهقة، من دون أن يتدارك الأمر.

ـ إنه أمر بديهي، لأنك تأخرت في المكتب.

شربت ريان جرعة كبيرة من المياه الباردة، ثم قضمت قضمة من الخبز الطازج الذي وضعه النادل أمامها. بعد قليل، أحضر النادل لهما طبقين من الطعام المطبوخ على البخار، ولم تحاول أن تخفي إعجابها بمذاقه وهي تغرز شوكتها في طبق التورتيليني.

لاحظ مانولو النبض المتسارع في عنقها فقال بلهجة آمرة: «تناولي طعامك أولاً».

ـ وهل نتبادل خلال هذا الوقت العبارات المهذبة؟

ـ شيء من هذا القبيل.

ـ حسناً. حدثني عن نهارك.

ـ كان لدي اجتماعات في أديلايد قبل الظهر، ومشاورات في المدينة بعد الظهر.

ـ أهي صفقة جديدة كللتها بالنجاح؟

ـ أجل.

أنهت ريان طعامها سريعاً، ووضعت طبقها الفارغ جانباً. رفضت تناول الحلوى، مكتفية بفنجان من الشاي.

ـ هل تناولت دواء للتخلص من الصداع؟

هل تقول له إنها حاولت عبثاً أن تصارعه طوال النهار؟

ـ ما من دواءٍ عجلٍ بما فيه الكفاية. عند عودتي إلى المنزل، سآخذ حبتي مهدىء وأخلد إلى النوم.

أخذ النادل الأطباق الفارغة، ثم عاد بعد قليل حاملاً القهوة والشاي.

ـ هل فكرت بعرضي؟

ها قد جاءت اللحظة التي قضت مضجعها طوال اليوم!

ـ أجل.

ـ إذن؟

ـ إنني موافقة، لكن لدي شروط.

ـ هلا قلت لي ما هي شروطك؟

ـ أريد بدلاً شهرياً معقولاً.

افتر ثغره عن ابتسامة مهذبة: «تحدثنا سابقاً عن هذا الموضوع».

ـ لا أريد إلا جزءاً بسيطاً من المبلغ الذي حددته.

ـ تابعي كلامك.

ـ سأوقع قبل الزواج عقداً يضمن الحماية اللازمة لأموالك، فهي من حق كريستينا وحدها. وفي حالة الطلاق عليك أن تؤمن لي منزلاً ونفقة شهرية.

ـ هل من شروط أخرى؟

ـ أعدك بأن أكون مخلصة لك، وأتوقع أن تبادلني الإخلاص.

ـ لك ما شئت.

ـ حسناً، أليس لديك ما تقوله غير ذلك؟

ـ تحدثت مع أحد الكهنة ووافق على أن يغض الطرف عن فترة الانتظار المعتادة، ويعقد الزفاف في المنزل نهار الجمعة.

تسمرت في مكانها مصعوقة: «نهار الجمعة؟!».

ـ سنقيم حفلة صغيرة.

ـ أظنك تمزح، أليس كذلك؟

ـ إنني جاد بكل معنى الكلمة.

ـ ولكن..

ثلاثة أيام، أو أربعة إن أخذت نهار الجمعة بعين الاعتبار... هذا مستحيل.

ـ على الإطلاق!

كان ماهراً في قراءة أفكارها.

ـ ولكن عملي...

ـ دعي الأمر لي.

عادت ريان تردد وهي لا تصدق أذنيها: «الجمعة؟!».

ـ سأبدأ بتحضير الأوراق القانونية، فيما يهتم سانتوس بكافة التفاصيل المتعلقة بشقتك، وتوضيب الأغراض، وتخزينها.. يستحسن أن تنتقلي إلى المنزل نهار الخميس أو قبل ذلك إن أنجزت ما عليك إنجازه قبل الأوان.

كادت تصاب بالدوار وهي تفكر بالأشياء التي ينبغي عليها القيام بها..

ـ لكنك تستعجل الأمور كثيراً.

ـ ثقي بي، ستسير الأمور على خير ما يرام.

٧ - ... وتوقف الزمن!

سارت الأمور على أفضل ما يرام بفضل مهارة سانتوس في التنظيم. كادت ساعات اليوم لا تكفي لإنجاز الأعمال المتراكمة، وغالباً ما كانت ريان تخلد إلى النوم بعد منتصف الليل، لتنهض فجر اليوم التالي، وتجدد نشاطها.

في ما يتعلق بوالديها، وعداها بزيارتها في عطلة الميلاد، كتعويض عن عدم تمكنهما من الحضور خلال هذه المهلة القصيرة. أما أليكس فوصل من هونغ كونغ صباح الجمعة، في زيارة مدتها أربع وعشرون ساعة على أن يستقل صباح اليوم التالي الطائرة التي سترجعه إلى مقر عمله.

وقعت ريان في حيرة من أمرها خلال اختيارها زياً يليق بالمناسبة. وبعد تفكير ملي انتقت فستاناً ضيقاً من الحرير الرقيق عاجي اللون وحذاءً مناسباً بكعبين عاليين، وزينت عنقها بقلادة من اللؤلؤ تتلاءم مع القرطين اللؤلؤيين اللذين تدليا من أذنيها، ثم ضفرت شعرها بعناية ووضعت لمسات من عطرها المفضل. أحست وهي تنزل السلم متأبطة ذراع شقيقها بشيء من النشوة وأدركت أن الوقت فات لتعيد النظر في الموضوع، وقد تشابكت نظراتها بنظرات الرجل الذي يقف بانتظارها عند أسفل السلم. شعرت بالتوتر الشديد وبدت أعصابها مشدودة وهي على وشك أن ترتبط بديل غاردو برباط مقدس.

وقف مانولو مستقيماً، ومنكباه العريضان يبرزان بوضوح من خلال بذلته الأنيقة السوداء وقميصه الأبيض وربطة العنق الحريرية، فبدا لها

مختلفاً. وابتلعت غصة كبيرة في حلقها، وهو يمسك يدها ويشبك أصابعه بأصابعها ويقودها إلى البهو.

اتسعت عيناها لرؤية الأزهار الملونة الزاهية التي نثرت على قاعدة متدرجة، لتشكل خلفية جميلة لطاولة صغيرة فرش عليها غطاء كتاني، ووقف الكاهن خلفها يستعد للبدء بالاحتفال.

كان سانتوس يحمل كريستينا بين ذراعيه وقد بدا متألقاً في بذلة سوداء داكنة. وتولى مع أليكس لعب دور الشاهدين خلال تبادل العهود، عهود بسيطة ولكنها ساحرة. لم تتوقع ريان أن يضع مانولو في إصبعها خاتماً ماسياً ذا قلب مستطيل الشكل، وإلى جانبه خاتم الزفاف المرصع بحبات ماسية مصقولة على شكل إجاصة. ولم يكد ينتهي من وضع الخاتمين في إصبعها حتى ناولها خاتماً ذهبياً لتضعه في إصبعه الأيسر.

وحالما أنجزت مهمتها، ابتسم لها ابتسامة واهية حطمت آمالها، آمال تبددت كلياً حين عانقها عناقاً سريعاً.

تماسكي أيتها الغبية! فهذا الاحتفال ليس مميزاً على الإطلاق، إنه مجرد تتويج قانوني لرباط مبني على الاتفاق المتبادل. ومع ذلك، عليها أن تشاطره سريره هذا المساء! كانت هذه الفكرة تثير اضطرابها كلما خطرت على بالها خلال الأيام القليلة الماضية. أما الآن فلم يعد يفصلها عنها إلا ساعات قليلة.

عند انتهاء مراسم الزفاف وتبادل الأنخاب انصرف الكاهن، فشغلت ريان نفسها بإطعام كريستينا ووضعها في سريرها، قبل أن تعود إلى الطابق الأسفل، وتتناول العشاء مع مانولو وسانتوس وأليكس. كان عشاءً مترفاً أعده طباخ استقدم خصيصاً لهذه المناسبة. وأقرت ريان في سرها بأن زوجها مضيف بارع، وسانتوس لا يقل عنه براعة.

كانت الأطباق شهية جداً وانكبت ريان على المقبلات تتذوقها بنهم، وهي ترتشف العصير اللذيذ، وتتبادل أطراف الحديث مع أليكس.

فقالت له معترضة: «أربع وعشرون ساعة فقط؟ كان عليك أن تبقى أسبوعاً على الأقل!».

ـ تعلمين مدى حبي لك يا عزيزتي، لكن التوقيت ليس مناسباً للقاء الأخوة.

ثم أضاف برقة: «علاوة على ذلك، سيأتي والداك لزيارتك خلال عيد الميلاد، وسأحاول عندئذٍ أخذ إجازة نصف السنة».

وظهرت في عينيه تعابير التسلية وهو يقول: «لا تقلقي، سأعود».

فأسرع مانولو يقول له: «وستقيم عندنا دون أدنى شك».

فأحنى اليكس رأسه بالموافقة: «شكراً».

بعد العشاء انتقل الجميع إلى حجرة الجلوس ليشربوا القهوة، وأسرع الطباخ يرفع بقايا الطعام وينظف الصحون قبل أن يغادر المكان. من جهته، انسحب سانتوس إلى غرفته، فيما نهض اليكس من مكانه معرباً عن رغبته بالاتصال بسيارة أجرة لتقله إلى فندق مجاور للمطار، إذ عليه أن يستقل الطائرة باكراً في الغد، ليعود إلى هونغ كونغ.

أحست ريان بحزن عميق وهي تعانقه مودعة عن الباب . . كانت زيارته قصيرة ومميزة جداً.

ـ أحبك.

قالت له ذلك بصوت ناعم، وهي تشعر به يضمها إليه بشدة.

ـ وأنا أيضاً.

والتفت نحو مانولو مصافحاً قبل أن يصعد إلى السيارة التي ما لبثت أن انطلقت وريان واقفة في مكانها تتأمل أضواءها الخلفية وهي تجتاز الأبواب الخارجية.

ها قد بلغ النهار نهايته ولكن الليل بدأ لتوه. . فأحست برعشة في جسمها. أقفل مانولو الأبواب وشغّل جهاز الإنذار ثم التفت نحوها يسألها: «أتريدين المزيد من القهوة أو العصير؟».

ـ لا، شكراً.

وتابعت تقول وهي تتساءل ما إذا كان يعي حقيقة مشاعرها: «سأذهب لألقي نظرة على كريستينا».

خلع سترته وحل ربطة عنقه وقال: «سنذهب معاً».

كم الساعة الآن؟ الحادية عشرة؟ الثانية عشرة؟ وما الفرق؟ كانت تشعر بوجوده قربها وهما يصعدان السلم ويدخلان غرفة الطفلة بهدوء، ويقفان ساكنين قرب سريرها، يتأملانها وهي نائمة.

يقع الجناح الرئيسي في آخر الرواق، إنه الجناح الذي نقلت إليه ملابسها ووضبتها في خزانة فسيحة ضخمة. عليها أن تشاركه سريره وغرفته. . وأجفلت خوفاً من أن ينعتها بالفاشلة كما اعتاد روجر أن يفعل. فقد أخفقت في إرضاء هذا الأخير، وأخفقت في إنجاب طفل له، وأخفقت كزوجة وكامرأة. الشيء الوحيد الذي لم يحاول أن يحط من قدره هو عملها.

خلال الأيام القليلة الماضية، تضاءلت قدرة روجر على الاتصال بها، لأنها لم تعد تستخدم المجيب الآلي أو جهاز المناداة. فلم يتبقى أمامه من سبيل لإزعاجها، إلا البريد الإلكتروني أو الرسائل الخطية على هاتفها الخليوي، ما جعله يضاعف من حدة الشتائم التي كان يرسلها إليها.

ـ كانت الأيام القليلة الماضية محمومة.

قال مانولو لها ذلك وهما يدخلان إلى الجناح الرئيسي وأحست بنبضها يتسارع وهي تحني رأسها بالموافقة، فعبارة «محمومة» لا تكفي وحدها لتصف الأيام القليلة الماضية.

ـ أجل.

وعندما حركت يدها شع من الخاتمين اللذين وضعهما في إصبعها منذ ساعات خلت، بريق متألق متعدد الألوان. . إنها هداياه التي ينبغي عليها أن تقبل بها.

ـ الخاتمان.

رباه! ما بال صوتها؟ لمَ ترتجف هكذا؟

ـ إنهما جميلان.. أشكرك.

ـ على الرحب والسعة.

ألا يمكنها أن تتذرع بالصداع هذا المساء وتؤجل المحتوم إلى وقت آخر؟ لكن من تراها تخدع؟ والأسوأ من ذلك.. ما الجدوى من التأجيل؟

نزع ربطة عنقه، وفكّ أزرار قميصه برشاقة ثم خلعها ورماها على الكرسي المجاور. اتسعت عيناها ما إن وقع نظرها على عضلات الجزء الأعلى من جسده. لا بد أنه يمارس الرياضة البدنية ليتمتع بهذا القدر من اللياقة!

خلع مانولو حذاءه وجوربيه ومد يده ليفتح سحاب بنطلونه فأشاحت بوجهها بعيداً وقالت: «سأزيل مساحيق التجميل عن وجهي».

وأسرعت إلى الحمام الملحق بالجناح. وجدت ثوب نومها وعباءتها حيث تركتهما في الصباح، فخلعت حذاءها وملابسها، ولبست ثوب النوم الساتان وفوقه العباءة ثم شرعت تنظف وجهها.

حسناً، حان وقت العودة إلى الغرفة. أخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب. كان مانولو يدخل الغرفة في الوقت عينه، ففوجئت وهي تراه يشير إلى حمام آخر ملحق بالجناح، إنه حمامه..

ـ حسبت أننا..

ـ سنستعمل الحمام عينه؟.

كان قد استحمّ ولف منشفة حول خصره ما جعلها تشعر بالارتباك لرؤيته، فثبتت نظرها عمداً على كتفه الأيمن.

ـ لا داعي لهذا الاضطراب.

جاء صوته ناعماً رقيقاً فإذا بالحمرة تعلو خديها، ورفعت يدها لكنها عادت وأنزلتها.

ـ لست..

وتلعثمت فتوقفت للحظة عن الكلام، إلا أنها جاهدت نفسها لتتابع كلامها قائلة: «... بارعة في هذا المضمار».

رفع حاجبيه، وضاقت عيناه وهو يتأمل تعابير وجهها. أتراها تدّعي البراءة أمامه أم أن روجر البغيض لم يحسن معاملتها؟

تقدم نحوها قليلاً وسألها: «من قال لك هذا؟».

لكن ريان لزمت الصمت، فعاد وسألها: «أهو زوجك السابق؟».

رباه! ليتها تغمض عينيها وتفتحهما من جديد لتجد بأنها كانت تحلم..

ـ لم أستطع إرضاءه.

حسناً، قالت له ما تريد قوله، وانتهى الأمر.

رفع مانولو يده لتداعب أصابعه خدها برقة، فيما راح يتأمل تينك العينين الخضراوين اللتين تحولتا إلى قاتمتين عند ملامسته لها.

ـ أحقاً؟

ونزع الدبابيس من شعرها ليمرر أصابعه على خصلاته الطويلة، قبل أن تستقر يداه على كتفيها. ثم أحنى رأسه قليلاً، وعانقها برقة متناهية. داعبت رائحة جسده المسكية حواسها، وأحست بالنار تشتعل في أحشائها وهو يضمها إلى صدره برفق في البداية، وما لبث عناقه أن أصبح أكثر عمقاً وقوة.

لم تعرف ريان في حياتها عناقاً مماثلاً، أو شعوراً مغرياً ومثيراً إلى هذا الحد. شعوراً أشبع حواسها وجعلها تتنهد راضية.

ـ مانولو.

خالجها إحساس غريب اتخذ سبيلاً لولبياً من عمق أعماقها، وأمسكت تلقائياً رأسه بين يديها. كانت نيران الشوق تستعر في أحشائها وتملكها إحساس بأن الفشل بات وشيكاً. وترقرقت الدموع من عينيها،

ثم سالت أنهراً صغيرة على صدغيها لتضيّع سيلها بين ثنايا شعرها.

إلا أن مانولو ضمّها إلى صدره بقوة وهو يملس شعرها بأصابعه، وما هي إلاّ لحظات حتى كانا يحلّقان معاً في أماكن لم تعرفها ريان من قبل.

نظر مانولو إلى وجهها، فرأى دموعها المترقرقة في عينيها، وآثار تلك التي جرت سخية فأخفض رأسه يعانقها بحنان وقد تحرك شيء في داخله. فهذه الدموع ليست دموع احتيال أو خبث، لأن ريان لم تمنحه إلا عاطفة صادقة حقاً.

رفع رأسه وراح يتأمل ملامحها الشاحبة المنهكة، ثم نهض من السرير ليملأ الجاكوزي بالماء. ولم تمضِ دقائق قليلة حتى عاد وحملها بين ذراعيه وأدخلها إلى الحمام الملحق بالغرفة.

ـ ما الذي تفعله؟

ـ أدللك.

أجلسها في المغطس وشغّل نافورات الماء. أرجعت ريان رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها تاركة المياه الحارة تقوم بعملها السحري..

أحست.. رباه! ما الذي أحست به؟ أحست وكأنها تطوف على وجه الماء. فالدفء يغمرها وجسدها مسترخٍ إلى حد الكسل، وذكرى الأحاسيس التي استيقظت في داخلها، في سرير مانولو تضج في رأسها..

لا شك أن هذه هي الأحاسيس التي تلهم ناظمي الأغاني والشعراء وتملؤهم فصاحة. أحاسيس كانت قبل اليوم تخالها ضرباً من الخيال أو نوعاً من التمثيل.

ـ شكراً لك.

قالت ريان ذلك بصوت خافت، فمال مانولو برأسه إلى الأمام ليسمعها جيداً.

ـ على ماذا بالتحديد؟

أجابته ببساطة: «لقد جعلتني أشعر بالفرق».

داعبت أصابعه خدها برقة، ثم أوقف النافورات وهو يقول: «عليك أن تنامي الآن».

لم تشأ ريان أن تحرك ساكناً، ولكنها وجدت في الراحة التي سيمنحها إياها الفراش، خياراً مقنعاً. فأخذت منشفة ونشفت جسمها بها قبل أن تلفها حول جسدها النحيل.

بدا لها مانولو مختلفاً عن سواه، بقوامه الرشيق الذي يتمنى كل رجل أن يتمتع بمثله، إنه محارب من الشارع ترعرع في حي شعبي فقير حيث لا معيار يفوق معيار البقاء على قيد الحياة، وتفادي خرق القانون. قد يكون هذا هو سبب القساوة التي يخفيها تحت مظهره المتكلف، مظهر اكتسبه خلال ترقيه عبر الطبقات الاجتماعية ليبلغ المكانة التي يحتلها اليوم. غير أن جوهره الحقيقي بقي مدفوناً في أعماقه. وكبحت رجفة تملكتها وهي تحت أغطية السرير.

ـ أتشعرين بالبرد؟

ـ كلا.

مد يديه الدافئتين وضمها إليه قائلاً: «نامي الآن!».

أحست بشفتيه تلامسان شعرها فأغمضت عينيها وقد أغراها إحساس رائع بين ذراعيه. إنه يعاملها بلطف.. لطف بالغ.. فهي زوجته وأم ابنته. لا بد أن الحياة معه ستكون تجربة رائعة.

ونبّهها صوت في داخلها: حذار أن تمزجي الطيبة واللطف بالأحاسيس العميقة. فالحب لا يشكل جزءاً من اتفاقهما ووحده المغفل يخال سوى ذلك.

٨ ـ اظن انني اكرهك!

ـ تلقى مانولو اتصالاً صباح اليوم.

هذا ما أعلنه سانتوس عند دخول ريان إلى المطبخ لتناول فطورها.

ـ وصل زميل له من لندن إلى المدينة في زيارة لا تتعدى الخمس ساعات. أظنه سيتغيب عن المنزل معظم النهار.

سمعت صوتاً في داخلها يؤنبها... ما الذي كنت تتوقعينه؟ أكنت تتوقعين أن تستيقظي لتجدينه إلى جانبك بعد ليلة من العواطف المحمومة، فيصحبك في رحلة جامحة ومثيرة جديدة واعداً باحتفال أكثر متعة عند المساء؟ فلتدس قدماك أرض الواقع! هذا هو الواقع وليس الخيال.

ففي حين شعرت ريان وكأنها عثرت على جرة من الذهب أو أمسكت بطرف قوس القزح، لا بد أن مانولو أصيب بخيبة أمل لافتقارها إلى الخبرة في الأمور الزوجية. شعرت ريان فجأة أنها بحاجة إلى كوب من القهوة الساخنة المحلاة.

ـ طلب مني مانولو أن أعلمك عن مشاركتكما هذا المساء في حفل لجمع التبرعات الخيرية، وعليك أن ترتدي ملابس رسمية.

وذكر اسم فندق فخم في وسط المدينة، ثم أضاف من دون أن يترك لها الفرصة لتطرح الأسئلة: «عليك أن تكوني جاهزة عند السابعة، وسأتولى أمر كريستينا إذا ما استيقظت».

لم يمضِ على زواجهما أربع وعشرون ساعة بعد، وها هو يضعها تحت مجهر المجتمع المخملي. ممتاز!

ـ لا أظنه يحبذ الذهاب لوحده إلى الحفل.

ـ لا أعتقد أن هذه الفكرة مطروحة.

في هذه الحالة، عليها أن تدلل نفسها قليلاً وتنتقي فستاناً يتلاءم مع المناسبة، وتحاول أن تتلاعب قليلاً بموعد رضاعة كريستينا الأخيرة. غير أن سانتوس تولى الأمر تاركاً لها الفرصة للاستعداد للسهرة.

خرجت ريان من الحمام الملحق بالغرفة لتجد مانولو يقفل أزرار قميصه، فتوقف قلبها عن الخفقان لثوانٍ قليلة، قبل أن يعود ليتخبط بين ضلوعها. وعندما تشابكت نظراتهما لبرهة من الزمن، كادت تقسم في سرها على أنها نسيت أن تتنفس. بدا مانولو مختلفاً في عينيها، فهو يتسلح بمظهره الشاب وقدرته على التحرك برشاقة لا مثيل لها، كما أنه ينبض بالرجولة وتنبعث منه جاذبية بدائية خطيرة.

ليلة البارحة.. وفضلت ألا تعود بالذكرى إلى ما حصل! ولكن فكرة مشاطرته احتفالاً مماثلاً هذا المساء أثارت اضطرابها. فأمرت نفسها بصمت أن تبدأ بارتداء ملابسها. كانت قد انتهت لتوها من التبرج وتصفيف شعرها، ولم يعد أمامها سوى ارتداء فستانها. اختارت ريان لهذه المناسبة فستاناً من الحرير الرقيق المزين بأزهار متألقة الألوان وخطوط غير متساوية وينتهي ذيله بكشكش ناعم أما ياقته فمحفورة بأناقة وتتدلى منها شرائط صغيرة..

قالت له وهي تثبت قرطيها وتلبس سوارها: «إنك تدفعني إلى ساحة القتال منذ اليوم الأول».

أجابها مانولو وهو يدس التذاكر وهاتفه الخلوي في جيب سترته: «اشتريت التذاكر منذ عدة أسابيع».

ـ من هي المرأة التي حللت محلها؟

ضاقت عيناه قليلاً:

ـ لا تدخل هذه المسألة في المعادلة.

ربما لا، لكنه كان سيصطحب معه حتماً إحداهنّ، لا سيما وأنه اعتاد أن يظهر على صفحات المجلات برفقة نساء مختلفات.

حسناً.. طمأنت نفسها بصمت وهي تلتقط حقيبة يدها. عليها أن تستعد كل الاستعداد لتواجه ما ستحمله لها هذه السهرة من مفاجآت.

ـ هلاّ انطلقنا؟

بدت هادئة، ولكن مانولو لاحظ النبض المتسارع عند أسفل عنقها.

ألقيا نظرة سريعة على الطفلة في غرفتها وأعطيا سانتوس التوجيهات الأخيرة، ثم انطلقا في سيارة الأستون مارتن عبر البوابات الخارجية. بدت الأمسية لطيفة، والليل يستعد ليسدل ستارته على المدينة. دقائق قليلة وتضاء أنوار الشوارع وتتألق أضواء النيون التي تعلو المباني بعرضها الغني بالألوان. لم يخفَ على ريان أن ريع الحفل هذا المساء يعود لمؤسسة خيرية تعنى بالأطفال ولا بد أن تحضرها نخبة من المجتمع المخمل في المدينة. لمَ تشعر بهذا الاضطراب كله؟ لقد سُلطت الأضواء عليها من قبل، بحكم عَملها، وشاركت في نشاطات اجتماعية مختلفة، زد على ذلك أن مانولو إلى جانبها هذا المساء. ألعل وجوده هو المشكلة!

توقفت السيارة أمام مدخل الفندق وأعطى مانولو المفاتيح للحاجب ليركنها. قررت ريان في سرها أن تبتسم وتدعي رباطة الجأش، فيما استقلا المصعد صعوداً إلى قاعة الرقص حيث اجتمع عدد من المدعوين في بهو مجاور. لفت وصول مانولو انتباه الجميع، وأثار ظهور ريان إلى جانبه تخمينات عدة.. تخمينات من النوع الذي كانت تفضل ألا تشكل محوره.

ـ عزيزي.. ها قد وصلت!

علا صوت نسائي ناعم مرحباً، فاستدارت ريان لتواجه امرأة طويلة رشيقة شعرها الداكن يتدلى على طول ظهرها ويكاد يصل إلى مستوى خصرها، وبشرتها الملساء أشبه بالخزف الصيني. بدت لها ملامحها مألوفة وكذلك صوتها.

أجابها مانولو برقة: «مرحباً فالانتينا».

طبعاً، إنها المغنية والممثلة وعارضة الأزياء فالانتينا فاسكين. وتذكرت في تلك اللحظة كلام طوني عن نوبات الغضب التي تصاب بها المغنية فالانتينا خلف الكواليس خلال تسجيل شريط لها.

ـ لم ترد على اتصالاتي.

وقطبت الممثلة جبينها مدعية الاستياء ومررت أصابعها المقلمة بعناية على طية سترته.

ـ هذا إهمال منك يا مانولو.

ورمت ريان بنظرة عجلى ثم رفعت حاجبيها وسألتها: «من أنت؟».

رباه! إنها متعجرفة أيضاً!.

ـ ريان.

ـ زوجتي.

وقع الخبر عليها وقوع الصاعقة من دون أن يقصد مانولو ذلك.

ـ حقاً يا عزيزي؟

تماسكت الممثلة قليلاً، ولم تغفل ريان عن ذلك الوميض الخطير الذي ظهر في تينك العينين الداكنتين قبل أن تسرع وتخفيه. أتراها ستكشر عن أنيابها؟ حري بها أن تشحذ برائنها!

ـ منذ متى؟

ـ منذ البارحة.

ـ ولم تذهبا في رحلة شهر عسل؟

ثم نظرت إلى ريان باشمئزاز وتابعت تقول: «أيعقل أنك لم تلحي عليه ليخطفك إلى إحدى الجزر النائية؟».

ثم توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تضيف قائلة: «أم لعل فرحتك بالحصول عليه جعلتك تغضين النظر عن الأمور الأخرى؟».

لم تخف تلميحاتها الخبيثة على ريان، فرسمت ابتسامة ساحرة على

ثغرها وأجابتها: «أيجدر بي أن أجيب عن هذا السؤال؟».

حاولت فالانتينا أن تظهر بعض الاهتمام فقالت: «أظن أنني رأيتك في مكان ما».

ـ على شاشة التلفزيون.

قال مانولو لها ذلك وهو يبعد يدها بحذر عن ذراعه مما أثار سخطها.

ـ أجل.. في برنامج ما..

وتعمدت ألا تكمل كلامها، مظهرة استخفافها بالأمر. ثم حملت كأس العصير، ورمت مانولو بنظرة مثيرة قائلة: «هلاّ عذرتماني؟ أريد أن أختلط بالباقين».

شعرت ريان بنيتها الصريحة بنشر الخبر.

ـ كان عليك أن تحذرني.

قالت له ذلك بنبرة هادئة بعد أن أصبحت الممثلة بعيدة عن مرمى السمع.

ـ بشأن فالانتينا؟

بدا لها أن المسألة تسليه فثارت غضباً:

ـ أيجدر بي أن أستعد لمفاجآت أخرى مماثلة؟

أمسك مانولو يدها ورفعها إلى شفتيه قائلاً: «لا شيء مهم».

تسارعت ضربات قلبها عند ملامسته لها، وأحست بالنيران تتأجج في شرايينها. وعاد شريط الليلة المحمومة التي أمضياها معاً يمر في ذهنها، وشعرت به يتغلغل في كيانها. أتراه يدرك ذلك ويشعر به؟

بالأمس، قضت الليل بطوله نائمة بين ذراعيه ولم تستيقظ إلا عند سماعها صراخ كريستينا يتردد عبر المرقاب، فأسرعت تنهض من سريرها لتقف مصدومة أمام واقعها الجديد.

ـ هلاّ دخلنا؟

تناهى إلى مسمعها صوت مانولو الخافت ورأت الأبواب تفتح

والمدعوين يتدافعون إلى قاعة الرقص.

تمنت ريان في سرها ألا تجلس فالانتينا إلى طاولتهما لأنها ستشعر برغبة بالصراخ إن فعلت. لكن أيعقل أن يعاكسها القدر إلى هذا الحد؟ لم يخب ظنها، إذ توجهت فالانتينا نحو طاولتهما وجلست على الكرسي المقابل لهما. لا بأس، يبدو أن هذه السهرة ستكون مثيرة للاهتمام.. مع أن هذه العبارة لا تفي بالغرض.

كانت الممثلة في غاية الذكاء، فراحت تتبادل أطراف الحديث مع الجميع، حديث فرح، متألق ولا يخلو من المبالغة، كما لاحظت ريان. أيعقل ألا يرى أحد سوى ريان ابتسامتها المصطنعة؟

بدا واضحاً أن فالانتينا كانت تتمنى أن تحتفظ بمانولو لنفسها، وأنها قررت ألا ترمي سلاحها مهما كلف الأمر. أتراهما كانا حبيبين؟ أحست بالغثيان لمجرد تفكيرها بالأمر. بحق السماء! قلما يهم ما إذا كانا حبيبين أم لا، لكن فكرة تبادلهما العواطف المحمومة أزعجتها أكثر مما ينبغي.

ـ المزيد من العصير؟

تحمّلت ريان نظرات مانولو المتفحصة على مضض وابتسمت له ابتسامة فاترة قائلة: «ربما لاحقاً».

ـ أظنك ستحضر افتتاح معرض بيتر. أليس كذلك؟

وتوقفت فالانتينا عن الكلام قليلاً، ثم أضافت: «سيحضر الجميع الافتتاح».

ـ لا أظن ذلك.

وإذ كثرت الممثلة استياءً تساءلت ريان في سرها ما إذا كانت قد اعتادت أن تتمرن على تكشيرتها تلك أمام المرآة.

ـ ألن تحضر افتتاح معرض الفنون الجميلة؟

كان الإصرار سيد الموقف.. هل تتغلب فالانتينا على مانولو؟ محال! إلا إن سمح لها بذلك. وراحت ريان ترقب إن كان سيفعل. انتشلها

www.elromancia.com

وميض عدسة تصوير من أفكارها وتبعه وميض سريع آخر.

أعلنت فالانتينا وهي تبتسم بمكر: «نخب العريسين الجديدين: مانولو وريان ديل غاردو».

لكن ريان شكت في نيتها الصادقة بتهنئتهما وتساءلت إن كان المدعوون الجالسون إلى الطاولة قد شعروا بالتيارات الخفية. على الأرجح أنهم لم يفعلوا!

انتشر الخبر بسرعة كما تنتشر ألسنة النيران، فحققت الممثلة مرادها. غداً تظهر صورهما في الصحف مع بعض السطور حول زواجهما، وبدأت ريان تتخيل الأمر، وردة فعل روجر..

كان عليها أن ترسل بعض الرسائل الهاتفية للأصدقاء المقربين منها، لا بد أنهم سيعتبون عليها لأنها لم تبلغهم الخبر من قبل. بدا الطعام شهياً، ومع ذلك لم تتناول ريان سوى القليل منه من دون أن تستطعم بشيء.

ـ ثمة شيء يحيرني؟

أعلنت فالانتينا ذلك متظاهرة بالبراءة.

ـ كنت متزوجة من روجر إينرايت اليس كذلك؟ أذكر ما تداولته الصحف حول حادثة مطاردة وقعت بعيد انفصالكما بقليل.

ما بال هذه المرأة؟ وما الذي تحاول أن تقوله؟ أجابتها ريان بهدوء: «كان الموضوع حديث الناس يومها».

ادعت الممثلة التعاطف معها: «لا بد أنك ذقت الأمرين».

وفكرت ريان: من الصعب عليك أن تتخيلي ما ذقته!

ـ هل علم روجر بأمر زواجك ثانية.

أتراها واهمة أم أن الجميع من حولها توقفوا فجأة عن الكلام؟

ـ أفضل أن تبقى حياتي الخاصة ملكاً لي.

ـ لكنك قلقة حتماً بشأن..

وصمتت فجأة لتدع كلماتها تترك تأثيراً قوياً، ثم تابعت: «...

المضاعفات!».

لا يزال الأمر الصادر بعدم التعرض لها ساري المفعول، لكنها لم تعد تذكر كم مرة خرقه روجر.

ـ تبدين مهتمة للغاية بموضوع لا يمت إلى حياتك بصلة.

حملت كلماتها تحذيراً خفياً بين طياتها، تحذير اختارت فالانتينا أن تتجاهله. بدا ذلك واضحاً حين قالت: «لكنني معنية بالموضوع يا عزيزتي، فالصداقة التي تربطني بمانولو ترقى إلى سنوات طويلة».

صديقان؟ تحمل هذه الكلمة معانٍ كثيرة.. ولكنه لم يتزوج من الممثلة، مما يدل على شيء ما!

ـ وهل أنت قلقة لأنه اختارني زوجة له؟

تفرض قوانين اللعبة أن يكون هناك لاعبان. وأبت ريان أن تتخذ موقفاً سلبياً، مع أنها لا تكترث بتاتاً سواء أكانت الرابحة أم الخاسرة.

ـ رباه!

أتراها متفاجئة أم مذعورة أم محرجة؟ غير أنها أجادت إبراز هذه الأحاسيس كلها مجتمعة حين قالت: «لمَ تخالين ذلك؟».

لأن كلامك يوحي بذلك، كما فكرت ريان بسرعة، قبل أن تقول: «أتراني أسأت فهمك».

ـ بالتأكيد!

لكن ريان لم يساورها الشك بذلك.

أخذ الجميع يتكلم في آن معاً ورمت ريان مانولو بنظرة عجلى لتقابل نظراته المتراخية، التي بدت فيها علامات التسلية، فعقدت أصابعها في حجرها تحت غطاء الطاولة. وإذا به يسرع ويمسك بيدها فاصلاً أصابعها عن بعضها البعض بأصابعه، فاستغلت الفرصة لتغرز أظافرها في كفه. ولم يجد أمامه من رد فعل أفضل من مداعبة شرايين معصمها الدقيقة بإبهامه، علّ ذلك يخفف من حدّة توترها، إلا أن جهوده ذهبت هباءً.

ويدأ إلقاء الخطابات فأصغت ريان إليها باهتمام بالغ، لأنها تؤيد كل مشروع يهدف إلى تحسين أوضاع الأطفال، لاسيما المرضى منهم. وقررت في سرها أن تتظاهر بالاستمتاع بالسهرة، أمام العيون الفضولية التي كانت تسترق النظر إليها وعددها لا يحصى.

أثناء تناولهم الحلوى، قالت فالنتينا: «لا أظن أن مانولو سيوافق على استمرارك في العمل».

فأجابتها ريان بلا اكتراث وهي تلوح بيدها بطريقة مميزة: «ربما نعمل معاً في المستقبل على مشروع يتطلب اهتماماً خاصاً».

ـ مثل اهتمام مانولو بالأطفال المحرومين؟

ورسمت الممثلة ابتسامة خجولة على ثغرها ثم أضافت: «أم لعلكما تنويان إنجاب طفل!».

جرحها سؤالها في الصميم وقد أصاب منها وتراً حساساً.

ـ لدينا كريستينا!

جاء رد مانولو ناعماً للغاية، إلا أن فالانتينا فضلت أن تغض الطرف عنه.

ـ طبعاً.

ورمت ريان بنظرة حذرة وأضافت: «كم يبدو ملائماً أن يحظى مانولو بزوجة له ومربية لابنته في آن معاً».

ـ نعم.

رفعت الممثلة حاجبيها وهي تحول انتباهها إلى مانولو: «التقينا منذ أسبوع تقريباً يا عزيزي، ولم تأتِ على ذكر زواجك الوشيك».

قد يكون هذا اللقاء المزعوم عابراً، فلِمَ قفزت إلى استنتاج وحيد أشعل نيران الغيرة في داخلها؟

ـ لا أجد سبباً يدفعني للكشف عن خططي أمام أي كان.

كان رد مانولو مفعماً بالحدّة، حدّة قد تحثّ أيّ انسان سريع الفهم

على التزام الصمت.

ـ كان بوسعك إخباري عزيزي.

ـ كلا.

ـ هلا عذرتماني؟ سأذهب لأشرب القهوة مع ستيفانو.

وهبت واقفة من مكانها وهي ترفع رأسها بتباهٍ مبتعدة عن الطاولة.

قالت ريان بصوت هادئ: «كم هو محظوظ ستيفانو».

ابتسم مانولو ابتسامة ساخرة: «اختار بملء إرادته أن يتولى أمرها»

ـ في حين قررت أنت ألا تفعل؟

ـ بالضبط!

أيجدر بها أن تصدقه؟ كان النادل يقدم لهما القهوة، فسمعت في داخلها صوتاً يؤنبها على غبائها.

تصاعدت الموسيقى الناعمة في أرجاء القاعة وأضفت على المكان جواً لطيفاً وراح المدعوون يتنقلون من طاولة إلى أخرى يتبادلون الأحاديث مع الأصدقاء.

ـ هلاّ انصرفنا؟

لزمهما وقت طويل ليتمكنا من مغادرة القاعة، إذ أوقفهما الكثيرون بعد انتشار خبر زواجهما ليقدموا لهما التهاني. فلم يصلا إلى المنزل إلا وقد قاربت الساعة الحادية عشرة.

ما أحلى العودة إلى المنزل! غير أن ريان لم تكن تشعر بأنه منزلها حقاً. لعلّ ذلك يتغير مع مرور الوقت. وجدا سانتوس في غرفة الطفلة يقرأ كتاباً، وكريستينا في سريرها تغط في نوم عميق.

ـ لم تحرك ساكناً!

قال سانتوس ذلك وهو يخرج من الغرفة إلى الرواق، ثم تابع يسألهما: «كيف كانت سهرتكما؟».

حملت نبرة صوت مانولو شيئاً من التهكم وهو يجيبه: «مثيرة

www.elromancia.com

للاهتمام».

- من أي ناحية؟

- فالانتينا فاسكين كانت هناك.

ولم تخفَ عليها تكشيرة سانتوس عند سماعه الاسم.

- فهمت.

- سأدعك مع مانولو ليزودك بالتفاصيل.

قالت ذلك برقة واجتازت الرواق متوجهة إلى الجناح الرئيسي. ولم تكد تخلع ملابسها وترتدي قميص النوم وتبدأ بإزالة آثار الماكياج عن وجهها حتى سمعت مانولو يدخل إلى الغرفة.

أخذت وقتها في تنظيف وجهها، ثم نزعت الدبابيس من شعرها وتوجهت نحو الباب، فإذا بمانولو متكىء على المنضدة.

كان يرتدي بنطلوناً قصيراً أسود، فرفعت عينيها لتقابل عينيه.

- إنك لا تدين لي بتوضيح.

- كلا.

- مهما كان دور فالانتينا في حياتك، لا أظن أن الأمر يعنيني.

- اتفقنا.

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «لكنني أفضل أن تحدثني عن النساء الأخريات اللواتي قد ألتقي بهنّ، ويطالبن بحقهنّ فيك لأكون مستعدة فحسب».

- مستعدة لماذا؟

ظهرت علامات التسلية في عينيه الداكنتين فرفعت يدها لتلكمه على كتفه إلا أن يده كانت أسرع، فأمسكت بمعصمها تردعها عن ذلك.

- دعني!

- علينا أن نتحدث أولاً.

- ليس لدينا ما نقوله.

- بلى. فبفضل فالانتينا ستنشر وسائل الإعلام خبر زواجنا، قبل أن تتاح لي الفرصة لأعلن عنه بشكل رسمي. كيف تتخيلين ردة فعل روجر؟

- سيغضب أشد الغضب.

إنها الصورة الأقرب للشكل الذي ستتخذه ردة فعله.

- سيتولى سانتوس تشديد التدابير الأمنية بدءاً من الغد، وفي غضون ذلك، لا أريدك أن تخرجي بمفردك.

- يمكنني أن أعتني بنفسي.

- يستحسن ألا تجازفي.

ورفع يده يبعد خصلة من شعرها تدلت على وجهها: «مفهوم؟».

كيف يسعها أن تستشيط غضباً وتذوب من رقة لمساته في آن معاً؟

- ريان؟

- حسناً، قلت ما عندك. والآن أريد أن أخلد إلى النوم، فأنا متعبة.

استقرت يداه على كتفيها: «يمكنني أن أساعدك في ذلك».

أتراها تدرك أن لون عينيها يتحول إلى أخضر قاتم حين تثار مشاعرها؟

- أخال أن مساعدتك لي قد تمنعني من النوم قبل مرور وقت طويل.

لم تشأ أن تذعن لإرادته وراحت تردّد في سرها بأن مزاجها لا يسمح لها بذلك. غير أنها كانت تكذب على نفسها.

- ثقي بي.

رسمت أصابعه حدود فكها، ومن ثم حدود شفتها السفلى.

- لا تكن ملحاحاً!

قالت له ذلك وهي تسعى جاهدة للسيطرة على المشاعر الحادة التي أخذت تلتهم جسدها شيئاً فشيئاً.

سألها: «أتريدينني أن أتوقف».

ترنحت ريان قليلاً وهو يحني رأسه لينظر جيداً إلى عينيها.

www.elromancia.com

ـ أجل.

لكن شجاعتها لم تخدع أياً منهما. إذ ما لبثت أن تنهدت يائسة من تجاوبها اللاإرادي معه.

ـ تباً لك!

همست ريان بهذه الكلمات وهي تكاد تذوب بين ذراعيه.

بعد مرور وقت طويل، قالت له ورأسها يستريح على صدره، وذراعاه تغمرانها: «أظن أنني أكرهك».

جاءت كلماتها أشبه بالهمس وقد بلغ النعاس منها مبلغاً فابتسم مانولو وشفتاه تلثمان شعرها: «نامي الآن يا حبيبتي، لنواجه معاً ما يحمله لنا الغد من مفاجآت».

نشرت صحف نهار الأحد كلها مقالة صغيرة عن زواج مانولو ديل غاردو وريان سيليست ضمت صورة لكل منهما مأخوذة من الأرشيف. صحيح أن المقالة لم تدرج في الصفحات الأولى، إلا أنها احتلت ركناً من الصعب ألا يلفت اهتمام القارىء.

أبقت ريان هاتفها مقفلاً طيلة فترة الصباح، وانتظرت إلى أن ينهيا طعام الفطور. وما إن أصبحت لوحدها حتى بدأت تتفقد الرسائل الواردة إليها. كانت الأولى من صديق لها والبقية من روجر، يعيد ويكرر فيها شتائمه البذيئة عنها.

لم ترَ ريان مانولو يدخل الغرفة، وفوجئت به يقف إلى جانبها ويأخذ الهاتف من يدها ويضعه على أذنه.

ـ رباه!

قال لها ذلك بنبرة قوية معترضاً، ثم رفع نظره إليها وسألها: «منذ متى تتلقين هذه الرسائل؟».

ـ منذ مدة.

ازدادت عيناه قساوة: «هلا حددت لي هذه المدة؟».

ـ بدأ يرسلها إلي منذ اليوم التالي لانفصالنا.

لم تتبدل تعابير وجهه غير أن نبرة صوته باتت توحي بالخطر: «كم مرة تتلقين هذه الرسائل؟».

ـ كل يوم تقريباً.

ـ وهل كلها بذيئة إلى هذا الحد؟

ـ إنها حملة إزعاج مستمر. فحسب وجهة نظر علم النفس يحاول روجر أن يثبت لي أنه على علم بتحركاتي كلها، وأنه يعرف الأشخاص الذين أقابلهم. لجأت مراراً إلى تغيير رقمي الهاتفي محطمة بذلك الرقم القياسي.

لم يسألها مانولو عن الأمر الصادر بعدم التعرض لها، لأن هذه التدابير لا تجدي نفعاً مع الأشخاص المهووسين أمثال روجر.

ـ إنه يستخدم بطاقات هاتفية مختلفة، وخطوطاً متنوعة حتى بات من الصعب تحديد هوية المتصل من خلال الرقم الذي يظهر على الشاشة.

ـ دعي الأمر لي!

ـ لا أظنك قادراً على إيجاد حلول أخرى عدا تلك التي لجأت إليها.

رفع مانولو حاجبه استياءً من كلامها.

ـ يمكنك أن تعطي رقم هاتفي الخاص لوالديك وأليكس ليتصلوا بك، وسيتولى سانتوس تحويل الاتصالات على هاتفك الخاص. وفي غضون ذلك، يستحسن أن تستخدمي هاتف المنزل لإجراء الاتصالات الضرورية.

وفكرت ريان أن التخلص من رسائل روجر المزعجة يتطلب معجزة حقاً.

ـ كلا، ليس إلى هذا الحد.

أكد لها مانولو ذلك برباطة جأش.

- ثقي بي.

أتراه يقرأ أفكارها؟ يبدو أنه أصبح خبيراً في ذلك.

٩ - لن تستسلم أبداً

أمضت ريان الساعات القليلة التالية تهتم بأمور كانت قد أهملتها خلال العد العكسي لزفافها. من جهته انهمك سانتوس بالرد على اتصالات أصدقاء مانولو الفضولية، الذين راحوا يتذرعون برغبتهم بدعوة العروسين لحضور حفل غداء أو عشاء أو ما شابه، دعوات خطر لريان أنها ترمي إلى جمع تفاصيل أكثر من تلك التي جاءت في وسائل الإعلام أو في تصريح مانولو الرسمي حول هذا الزواج المفاجىء. كان سانتوس يدون الدعوات كلها ليستشير بعدها مانولو بشأن الرد عليها.

- ذاع صيت زواجنا في المدينة كلها.

قالت ريان ذلك مازحة، فيما هما يتناولان العشاء معاً مساء يوم الثلاثاء.

- أيام قليلة ويصبح خبر زواجنا من الماضي.

دفع مانولو طبقه جانباً ثم استطرد يقول: «تلقيت هذا الصباح اتصالاً من مدير الإنتاج ليحدد موعداً مبدئياً لعرض الفيلم الوثائقي على الهواء».

أعارت ريان حديثه اهتماماً خاصاً لأسباب لا تخفى على أحد.

- قرر عرضه الشهر المقبل.

تساءل مانولو في سره ما إذا كانت تدرك كم بدت ملامح وجهها معبرة، ملامح يسهل عليه أن يقرأ بين سطورها.

- قمت بمقابلة جيدة.

رأى البهجة في الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها وانعكست في

www.elromancia.com

عينيها: «أتحاول أن تثني علي بطريقة مبهمة؟».

ومضت عيناه ببريق التسلية: «ما الذي يدفعك لقول ذلك؟».

أجابته بهدوء: «أردت أن آخذ منك أكثر بكثير مما أردت أن تعطيني».

ـ أتقصدين أنك أردت سبر أغوار الحقيقة لتصلي إلى عمق أعماقها وتعرضيها على علاتها؟

ـ لم أشأ أن أموه الحقيقة الفعلية.

نظر إليها متسائلاً: «لكن الحقيقة الفعلية تحمل خفايا كثيرة تفوق قدرة الناس على تحملها، ولا أجد فائدة من تسليط الضوء على ماضٍ خلفته ورائي».

ـ لكنه جزء من شخصيتك، وقد حثك على المناضلة للوصول إلى مكانتك الحالية.

ـ لا يمكنني أن أغير البارحة، ولكن أؤكد لك بأني لن أعود إليه ثانية.

ـ وستتابع بناء امبراطوريتك.

أثارت طريقة تفكيره حيرتها، فقالت: «متى تراك ستشعر بالاكتفاء؟».

ـ حين تزول التحديات وتتغير أولوياتي.

ونهض من مكانه مضيفاً: «علي أن أراجع بعض الأمور على جهاز الكومبيوتر استعداداً لاجتماعات الغد في بريسبان».

ـ كم سيطول غيابك؟

ـ يومان.

ستشتاق إليه.. ستشتاق إليه حقاً ولم تكن مستعدة للاعتراف بذلك. من السهل أن تلهي نفسها خلال النهار، ولكن كيف ستمضي لياليها؟ لقد اعتادت على وجوده بقربها دوماً، إذ يكفي أن يمر في ذهنها شريط العلاقة الجامحة التي جمعتهما لتأجج نيران اللهفة في أعماقها، وتمتد إلى كل

جسمها، فتصبح كل خفقة من نبضها مشبعة توقاً مؤلماً إليه.

قررت أن تشاهد بعض الأفلام في المنزل، وتبعث رسائل إلى والديها واليكس والأصدقاء، ثم تنكب على دراسة فكرة طرأت على رأسها منذ أشهر خلت، لكتابة سلسلة من المقالات.

قد تتصل بليزل بعد الظهر لتوافيها إلى أحد المقاهي في المدينة، ويتناولا القهوة معاً خلال الساعات الثلاث التي تنام فيها كريستينا بعد الظهر.

سألت ريان سانتوس صباح اليوم التالي: «هل من اعتراض؟».

ثم تابعت تقول: «تنام كريستينا عادة ثلاث ساعات وأنا لن أغيب أكثر من ساعتين. سأحمل معي الهاتف الخليوي لتتصل بي إن استيقظت».

ـ هل أعلمت مانولو بالأمر؟

ابتسمت ريان مستغربة وسألته: «أيعقل أن يرفض؟»

ـ أظن أن قلقه في محله.

وتنبهت في الحال إلى ما يرمي إليه من كلامه هذا.

ـ لن أسمح لروجر بأن ينغص علي حياتي.

ـ لكن الاحتراس واجب في هذه الفترة.

ـ أتقصد بسبب زواجي ثانية؟

ـ من رجل فاحش الثراء.

ـ أتخال أن الفكرة لم تخطر على بالي؟

كانت تتوخى الحذر في كل خطوة تخطوها خشية أن يحاول روجر أن يشفي غليله بالانتقام.

ـ لن أعرّض كريستينا أبداً للخطر.

وتحول لون عينيها إلى أخضر داكن وقد تشابكت نظراتهما فقالت له مطمئنة: «يمكنني أن أعتني بنفسي».

حدق بها سانتوس لثوانٍ طويلة ثم قال: «لن أمانع، شرط أن تسمحي

www.elromancia.com

لي بأن أتصل بك بعد ساعة من رحيلك للاطمئنان عليك».

ـ أهذه فكرتك أم فكرة مانولو؟

ـ الفكرة فكرتنا معاً، فالمسؤولية تقع كلها على عاتقي في غياب مانولو.

ـ وهل تشملني هذه المسؤولية؟

ـ أيزعجك ذلك؟

إنها ليست معتادة أن يراقب أحدهم تحركاتها.

ـ أجل.

لوى فمه بابتسامة ساخرة، ثم قال: «الصراحة صفة مستحبة».

ـ يسرني أنك توافقني الرأي.

تركت ريان رسالة صوتية لليزل وصعدت إلى غرفة كريستينا لتجدها تتقلب في فراشها وهي تفتح عينيها، فذاب قلبها رقة بين ضلوعها حين ابتسمت لها الطفلة وقد تعرفت عليها. راحت تلوح برجليها فرحة مطلقة ضحكة خافتة وهي تتمرغ في السرير لتتمكن بعدها من الجلوس بشكل غير ثابت.

ـ رائع، هل أنت جاهزة للعب يا عزيزتي؟ ولكن علينا أن نبدل الحفاض.

إنها طفلة جميلة حقاً.. طفلة مرحة ويقظة وتنبض بهجة. أتراها شعرت ببعض الاستقرار في حياتها؟ تمنت ريان ذلك من صميم قلبها.

كانت الساعة قد ناهزت الثانية حين وضعت ريان الطفلة في سريرها لتنام قليلاً بعد الظهر، وأسرعت ترتدي بنطلونها الفضفاض وقميصاً من آخر صيحات الموضة وحذاء بكعبين عاليين ثم نزلت إلى الطابق السفلي بحثاً عن سانتوس.

ـ إني ذاهبة.

ولوحت له بالهاتف الخليوي الجديد الذي أصر مانولو عليها لتحمله بدلاً من هاتفها القديم.

ـ في حال احتجت إلي. وإلا سأعود قرابة الرابعة.

فقالت لها ماريا: «يمكنني الاهتمام بكريستينا إن استيقظت قبل عودتك».

وتوجه سانتوس نحو لوحة الكترونية قائلاً: «سأفتح الأبواب».

لم تأخذ الرحلة إلى دوبل باي وقتاً طويلاً. ولحسن حظها، وجدت مكاناً شاغراً لتركن فيه سيارتها.

تلك المنطقة هي حقاً مميزة، فهي تضم عدداً من متاجر الألبسة، والمقاهي، والمنازل الصغيرة التي بنيت كلها على صف واحد، وأعيد ترميمها بطريقة مميزة لتصبح دوراً للأزياء المبتكرة في إيطاليا وفرنسا وألمانيا.

كان الناس يتسكعون في المقاهي، يحتسون القهوة ويتسامرون مستمتعين بالتفرج على بعضهم البعض..

ـ ما الذي أخرك؟

علا صوت نسائي ناعم وأسرعت شقراء طويلة نحيلة تعانقها.

ـ ليزل، لم أكن متأكدة من حضورك.

بادلتها ريان العناق ثم تراجعت خطوة إلى الوراء وقالت لها وعلى ثغرها ابتسامة تشع دفئاً: «كيف حالك؟».

ـ اجلسي وحدثيني.

قالت لها ليزل ذلك بعد أن نادت النادل وطلبت القهوة.

ـ بحق الله! مانولو ديل غاردو!

كانت نبرة صوتها أشبه بالهمس التبجيلي.

ـ هل أنت سعيدة يا طفلتي؟ أريد أن أسمع التفاصيل كلها.. كيف تزوجت من دون علمي؟ ولم العجلة والسرية؟

صحيح أن الأصدقاء الأوفياء باتوا نادرين في هذه الآونة، لكن ليزل واحدة منهم، فقد جمعتهما صداقة قوية مذ كانتا على مقاعد الدراسة،

صداقة ازدادت قوة على مر السنوات.

أجابتها ريان في محاولة لإثارة فضولها أكثر فأكثر: «سنتناول القهوة أولاً».

ـ كلا، بل ستخبريني بكل شيء أولاً.

فقالت لها ببساطة: «حسناً. كنت أجري مقابلة مع مانولو، وتبين لي أن مربية طفلته رحلت لتوها، فحللت محلها لبضعة أيام بناء على طلبه.. ومن ثم عرض علي الزواج».

ضاقت عينا ليزل الزرقاوان وظهرت فيهما الحيرة: «أهذا كل شيء؟».

ـ تقريباً.

ـ أشعر بأنك تخفين عني أشياء كثيرة. هيا، هاتي ما عندك.

ترددت ريان قليلاً، ثم قالت: «زواجنا عبارة عن اتفاق لكلينا».

ـ اتفاق؟ التقيت مرة بزوجك، وأظن أن نساء كثيرات يتمنين أن يكنّ مكانك، فمن تحاولين أن تخدعي؟

وحدقت بريان متأملة: «أعرف تاريخك عن ظهر قلب، والمتغيرات القليلة التي طرأت في حياتك، ولا أظنك تقدمين على الزواج ثانية إلاّ إن وقعت في حبه».

ـ إنك مخطئة

ـ أحقاً؟

أحضر النادل القهوة، فأضافت ريان السكر إلى فنجانها وراحت تحركه

ـ أجل.

ـ لا تنسي أنني صديقتك ليزل!

ـ صدقيني إنه ليس زواج حب.

ـ أتقولين إنه زواج مبني على المصلحة فقط؟

نعم.. إنه كذلك!

أجابت ريان بهدوء: «هل نسيت الطفلة الجميلة التي أتولى رعايتها؟».

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم تابعت تقول: «المنزل رائع، والحياة فيه ممتعة. إنني سعيدة بخياري الجديد بعد كل ما عانيته مع روجر».

ـ لو لم أكن أعرفك جيداً لصدّقت كلامك.

ارتشفت ريان القهوة ثم رفعت عينيها إلى صديقتها.

ـ وما هي ردة فعل روجر؟

ـ بدأ مانولو بمراقبة اتصالاتي الهاتفية حتى لا أتلقى المزيد من اتصالاته.

واستطردت تقول وقد استغرقت للحظات في التفكير: «آمل أن يتوقف روجر عن مضايقتي، وأن يدعني وشأني».

ـ وكأن ذلك ممكن!

خشيت ريان أن تكون ليزل محقة في كلامها، فوتيرة الاتصالات قد تتضاعف لفترة من الزمن، ويقرر بعدها الانتقام.

ـ ما الذي ارتديته للمناسبة؟

ثم ابتسمت مازحة:

ـ هل احتفظت ببعض الصور؟

ـ التقط سانتوس صوراً لنا، وأظن أن مانولو أعطى رجال الصحافة واحدة منها.

ـ من هو سانتوس؟

ـ إنه الخادم المسؤول عن المنزل، وهو يجيد الطبخ أيضاً.

ـ حسناً، يمكنني أن أكتفي بوصف مفصل بدلاً من الصور.

أذعنت ريان لرغباتها.. ثم استقامت في مجلسها قائلة: «جاء الآن دورك، حدثيني عن إميليو».

www.elromancia.com

هزت ليزل كتفيها بلا مبالاة: «هو في ميلانو وأنا هنا، ما الذي يسعني قوله بعد؟».

ـ إنه يعشقك.

ـ إننا أشبه بالسفن العابرة ليلاً.

ـ يمكنك الانتقال إلى ميلانو.

ـ ربما.

حمل جوابها في طياته شيئاً من الكآبة.

ـ ما المشكلة إذن؟

ـ ريان، لم أتوقع أن أراك هنا.

رباه! ليتها لا تكون فالانتينا فاسكين.. إنها هي بكامل أناقتها وتبرجها.

ـ فالانتينا!

حيتها ريان ببرودة جلية آملة أن تمضي في سبيلها، إلا أنها لم تفعل.

ـ حسبتك في المنزل تقومين بمهامك كمربية.

ـ ألا تعلمين أن المربية تحظى أيضاً بإجازة؟

ـ ليزل فانهوفين.

ومدت ليزل يدها مصافحة وهي تقول: «صديقة ريان!».

أتراها فهمت الرسالة الخفية، التي أرادت أن توصلها إليها ليزل، بألا تعبث مع صديقتها حتى لا تضطر لمواجهتها؟ لا يبدو الأمر كذلك، إذ لم تكبد فالانتينا عناء النظر إلى ليزل.

ـ يسرني أن ألتقي بك، هلا أعطيتني القليل من وقتك؟

وتساءلت ريان، ما الذي تريد قوله؟

ـ لا أظن أن الوقت ملائم.

رفعت فالانتينا يدها غير آبهة بكلامها، ثم قالت: «سأقيم مساء السبت في منزلي مزاداً علنياً على مجموعة من المجوهرات، وأخصص ريعه

لمساعدة جمعية مانولو الخيرية. سيكون مانولو حتماً ضيف الشرف ولا أتوقع منك الحضور برفقته».

رفعت ليزل حاجبيها، وهي تتأمل فالانتينا تبتعد مسرعة.

ـ كم هي لطيفة!

ـ أليس كذلك؟

سألتها ليزل بمكر: «أتريدين أن نتناول الشوكولا أم نذهب للتسوق؟».

ـ ألا يحق لي بالإثنين معاً؟

مالت ليزل برأسها جانباً: «أفضل أن نذهب للتسوق».

وأخذت ورقة نقدية من حقيبة يدها ودستها تحت صحن فنجان القهوة وهي تقول: «على حسابي!».

ثم هبت واقفة وأضافت: «حسناً، هيا بنا يا عزيزتي».

لم تصدق ريان أنها اشترت هذه الأغراض كلها وبهذه السرعة، فقد تكدست الأكياس الملونة في المقعد الخلفي لسيارتها.

استقبلها سانتوس عند الباب، فسألته وهي تدخل إلى المنزل: «هل من مشكلة؟».

ـ لا تزال كريستينا نائمة.

ـ أظنها ستستيقظ بين لحظة وأخرى.

ـ أرى أنك أمضيت وقتاً طيباً.

حملت ريان الحقائب عالياً وابتسمت له ابتسامة عابثة، قائلة: «يمكنك أن تقول ذلك».

ـ اتصل مانولو وقال إنه سيتصل بك بعد العشاء، كما وردت رسالتان إلى هاتفك الخليوي.. تركت لك كافة التفاصيل على المكتب الصغير في جناحك.

ووجدت نفسها مرغمة على سؤاله: «من روجر؟».

لم تتبدل ملامح وجه سانتوس.

ـ وردت منه رسائل لا تحصى، سجلتها كلها ثم محوتها.

ـ آسفة.

يؤسفها أن يستمع إلى هذا الكلام البذيء مراراً وتكراراً، ولكنها لم تجد كلمات أخرى تقولها له من دون أن تأتي على ذكر القصة القديمة.. قصة يعرف تفاصيلها عن ظهر قلب.

أشارت بيدها إلى الأكياس قائلة: «سأضعها في غرفتي وأتفقد كريستينا».

قرابة الساعة الثامنة وضعت ريان الطفلة في سريرها ونزلت إلى المطبخ ثم أخذت طبق السلطة الشهي الذي أعده لها سانتوس، وجلست إلى المائدة.

ـ أتريدين كوباً من الشاي؟

كان سانتوس يمشي بخفة تضاهي خفة مانولو في المشي.

ـ يمكنني أن أعد كوباً بنفسي.

وإذ لم تتحمل نظراته الهادئة أضافت: «لست عاجزة. وإن كان عذرك بأن وظيفتك تفرض عليك خدمتي، فانسَ الأمر».

ـ ولكنك زوجة رب عملي.

ـ يمكنك أن تسترخي.

وأشارت إلى الكرسي المقابل قائلة: «لِمَ لا تخفف عنك قليلاً وتحاول أن تسامرني؟».

ـ سأعد الشاي.

تأملته ريان بحذر قبل أن تسأله: «أتحسب نفسك سيد المطبخ وآنيته؟».

ـ أبداً!

أعد سانتوس الشاي وصبه في كوبين، ووضعهما على الطاولة، ثم سحب كرسياً وجلس عليه.

ـ أظنك تعرف مانولو منذ زمن بعيد.

يا له من حديث تافه! فخلال الأبحاث التي قامت بها عن ماضي مانولو، علمت أن صداقتهما تعود إلى أكثر من عشرين سنة. ولكن السنوات العشر الباقية في حياة كل من الرجلين تثير حيرتها.

ـ أجل.

ـ لا بد أن حياتكما كانت صعبة، من دون عائلة تعتمدان عليها.

ـ لم تكن سهلة.

نظرت إليه باهتمام بالغ: «كيف التقيتما؟».

ـ خلال شجار بسيط تحول إلى صراع خطير.

ـ من أنقذ من؟

ومضت عيناها عند تفكيره بالأمر.

ـ يمكنك القول إن جهودنا كانت مشتركة.

ـ اثنان ضد..؟

ـ زمرة.

ـ فهمت

ساور سانتوس الشك في قدرتها على فهم الوضع، وهو يدرك تمام الإدراك أن عبارة «ظروف صعبة» لا تفي بالغرض أبداً؛ مراهق على أبواب سن الرشد وصبي على أبواب المراهقة يحاولان أن يحمي بعضهما البعض في ظروف تتخطى قدرتهما على التحمل بأشواط. وعلى الرغم من ذلك، تمكنا من البقاء على قيد الحياة، ولم يتخلَّ مانولو عن سانتوس وهو يشق درب النجاح، بل اصطحبه معه في رحلته الطويلة الشاقة، ولم ينسَ سانتوس يوماً فضله عليه.

ـ هل عدت بعدئذٍ إلى الولايات المتحدة؟

ـ كلا.

رن في تلك اللحظة جرس الهاتف، فنهض سانتوس من مكانه ليجيب

عليه. وبعد أن تحدث لدقائق قليلة، حمل السماعة بيده قائلاً: «إنه مانولو».

أحست برعشة تسري في أوصالها وهي تتوجه نحو الهاتف.

ـ مرحباً.

ـ ريان!

نطق باسمها بنبرة مثيرة، فأحكمت قبضتها على السماعة فيما أسرع سانتوس يغادر المكان.

ـ كيف حالك؟

ـ بخير!

تماسكي قليلاً بحق الله!

ـ وكريستينا بخير أيضاً.

ـ أخبرني سانتوس ذلك حين اتصلت بعد ظهر اليوم.

لا بد أنه على علم بخروجها لبضع ساعات.

ـ قابلت ليزل بعد ظهر اليوم.

ـ أهي صديقة؟

ـ صديقة حميمة. كيف تسير الأمور في حلبة الأعمال؟

ـ على خير ما يرام. سأعود مساء الغد.

أتراها سمعت شيئاً من الدعابة في صوته؟

ـ قلت إنك ستعود نهار الجمعة.

ـ قد نتمكن من إنجاز الأعمال قبل الموعد المحدد.

ـ استمتع بوقتك.

وسمعته يضحك ضحكة خافتة عند الطرف الآخر من الخط، فقالت له: «تصبح على خير».

وأقفلت السماعة قبل أن تتاح له الفرصة للرد عليها.

جافاها النوم في تلك الليلة، فنهضت باكراً من فراشها ونزلت إلى

قاعة الألعاب الرياضية لتمارس الرياضة البدنية. وإذ بدأ التعب يدب في أطرافها، عادت إلى غرفتها واستحمت وارتدت ملابسها ثم أطعمت كريستينا ونزلت إلى الطابق السفلي لتتناول فطورها. بعدئذٍ فضلت أن تعود إلى غرفة الطفلة، وتمضي النهار بترتيبها.

عند المساء تناولت عشاءً خفيفاً وشاهدت التلفزيون لبضع ساعات، ثم صعدت إلى غرفتها لترتاح.

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة عندما دخلت إلى الحمام لتستحم. شعرت بألم بسيط في عضلاتها، لأنها المرة الأولى التي تمارس فيها الرياضة منذ أسبوع تقريباً.

فتحت حنفية المياه الساخنة، فيما طارت أفكارها نحو مانولو..

لم يعاود الاتصال بها الليلة.. يبدو أنه لم يتمكن من إنجاز عمله قبل الوقت المحدد، وعليه أن يبقى حتى الغد لينهي اجتماعاته.

أكدت ريان لنفسها بأن الأمر لا يعنيها، فحين قررت الزواج به كانت تعي جيداً أنها ستقضي ليالٍ طويلة موحشة، بينما يتنقل مانولو بين عواصم العالم سعياً وراء صفقاته التجارية. لذا عليها أن تعتاد على الأمر.

أنهت حمامها وعادت إلى الغرفة لترتدي ثياب النوم. ثم فتحت الخزانة وراحت ترتب بعض الأغراض في داخلها.

ـ دعيني أساعدك.

سمعت صوتاً رجولياً، وامتدت يد لتلامس ذراعها، فاستدارت بسرعة لتجد أمامها زوجها، مانولو. وأسرعت يده تمسك بقبضة يدها قبل أن تضربه.

ـ كان عليك أن تحذرني.

كان الشرر يتطاير من عينيها الخضراوين الداكنتين.

ـ وأفسد المفاجأة؟

ـ تباً لك! أخفتني كثيراً.

www.elromancia.com

تسللت يدا مانولو إلى كتفيها: «اختاري لحناً لأدندنه لك في المرة المقبلة».

ـ كان بوسعي..

ـ أن تلحقي بي الأذى؟

بدت إمارات التسلية على وجهه، فتملكتها رغبة جامحة بقتله.

ـ أشك في ذلك.

ـ دعني وشأني.

ـ في الحال..

وأحنى رأسه نحوها فبذلت جهدها لتفادي عناقه، إلا أن ذلك لم يخفف من عزيمته، فضمها إلى صدره وراح يعانقها عناق زوج مشتاق.

أحست بالدماء تسري حارة في شرايينها، ملهبة حواسها. فقد جعلها عناقه تحلق عالياً في الفضاء.

وفجأة، ارتفع رنين هاتفها الخليوي، فشعرت ريان بالارتجاف وقد مر في رأسها شريط الذكريات السيئة، ولم تعد تستطيع الوقوف على قدميها فترنحت. لكنها ذكرت نفسها بسرعة أن هذا الرجل الذي يقف أمامها الآن ليس روجر..

رفع مانولو ذقنها بيده وقال لها وقد ضاقت عيناه قليلاً: «ما بك؟».

وعندما أبت أن تتكلم راح يطلق الشتائم، ثم هزها بلطف: «ريان؟».

ولما أصرت على التزام الصمت ضمها من جديد إلى صدره قائلاً: «يبدو لي أنه لم يحسن معاملتك، أليس كذلك؟».

ـ أبداً!

شعرت ريان برغبة قوية بالبكاء.

أنبها مانولو برقة: «لا تبكي حبيبتي».

إلاّ أن الدموع ترقرقت من عينيها رغماً عنها، وأغشت بصرها مهددة

بأن تسيل غزيرة على خديها، فرفرفت عينيها بسرعة لتبددها، فيما قادها مانولو إلى السرير. ثم أطفأ الأنوار وأخذها بين ذراعيه وهو يقول: «اشتقت إليك».

خلال تناولهما طعام الفطور صباح اليوم التالي، تذكرت ريان رسالة فالانتينا:

ـ لم أخبرك بعد أنني التقيت البارحة بفالانتينا.

رفع مانولو نظره إليها، فبدت عيناه أكثر حدة: «أحقاً؟».

ـ مررت قرب المقهى حيث كنت وليزل نشرب القهوة، وطلبت مني أن أذكرك بالمزاد العلني الذي ستقيمه مساء السبت.

منذ حوالي الشهرين وفالانتينا تستعد لهذا الحدث.

ـ يبدو أنك لا ترد على اتصالاتها.

ـ عينت مديراً مسؤولاً عن النشاطات الخاصة بجمع التبرعات، وفالانتينا تعرف اسمه ورقم هاتفه.

ـ ولكنها تفضل أن تبقي المسألة شخصية. أليس كذلك؟

قرار تلك المرأة حاسم حقاً!

ـ أجل.

ـ فهمت.

استقام في مجلسه وراح يتأملها بوقار، وما لبث أن سألها: «وما الذي فهمته بالضبط؟».

ـ أتريدني أن أجاملك؟

ـ كوني صريحة فحسب.

أتراها رأت طيف ابتسامة غامضة على شفتيه؟

ـ أظن أن فالانتينا تكن لك مشاعر عميقة

ـ لا تتوقفي عن الكلام.

حسناً فليكن له ما يريد.

ـ وهي تأبى أن تستسلم.

ـ إذن؟

فتابعت تقول بصراحة مطلقة: «تود فالانتينا أن تستثنيني من ذلك الاحتفال».

ضاقت عيناه وهو يسألها: «هل قالت لك ذلك؟».

ـ لم تكن بحاجة لأن تفعل.

ـ بما أنني لا أنوي حضور المناسبات الاجتماعية من دونك، عليها أن تتحمل خيبة الأمل.

ـ لكن كريستينا..

ـ سيتدبر سانتوس أمره معها خلال غيابنا.

ومضت عينا ريان بومضة ملؤها المكر وقالت: «يمكنني أن ألعب دور الزوجة المخلصة».

طبعاً، يمكنها ذلك دون أن تبذل أي جهد.

أثارت ضحكته الرقيقة اضطرابها.

ـ هل أنت مستعدة للمواجهة؟

ـ انتظر لترى.

١٠ ـ رقصة في حقل الغام

بدا لريان وهي تضع اللمسات الأخيرة على تبرجها وتثبت قرطيها القديمي الطراز، بأن الإفراط في التأنق يحمل هذه الليلة دلالة خاصة به.

فقد اختارت للمناسبة فستاناً من تصميم «ساب»، من الحرير الشفاف المثير، زين بزخرفات ونقوش ناعمة، أمّا لونه الأزرق اللازوردي فيتناسب تماماً مع بشرتها القشدية الملمس، كما أنه يبرز لون عينيها، وجمال شعرها الأشقر، الذي تركته منسدلاً على كتفيها. ثم انتعلت حذاءً ذا كعبين عاليين، وحملت حقيبة مناسبة، ووقفت تنتظر زوجها لينهي ارتداء ملابسه.

همس مانولو بإعجاب شديد وهو يسوي ربطة عنقه ثم يتناول سترته: «يا له من ثوب مثير!».

تأملته من رأسه إلى أخمص قدميه متفحصة: «أنت أيضاً لا بأس بك!».

ـ لا بأس؟

أثار سؤاله العابث اضطرابها فأجابته برقة: «أيعقل ألا تلفت الأنظار؟ فبذلتك إيطالية الصنع وأنيقة، وحذاؤك من الطراز الأول».

وتوقفت عن الكلام عمداً ثم تابعت تقول: «والرجل الذي يرتديها، لا بد أن يبدو مميزاً بعض الشيء!».

ارتعش طرف فمه: «حقاً!».

رفعت ذقنها قليلاً فقرأ في عينيها علامات المكر..

www.elromancia.com

ـ أظننا جاهزين للمشاركة في اللعب.

ـ ذكرني بأن أتولى أمرك لاحقاً.

ـ هذا مثير للاهتمام!

ـ حتماً!

مرا بغرفة الطفلة ليلقيا نظرة عليها، فوجداها تغط في نوم عميق. لا شك أن صفاء الطفل الداخلي نعمة من الله. وأحست ريان بقلبها يرتعش، وقد أدركت أن تعلقها بطفلة مانولو وارتباطها الأمومي بها، يزداد يوماً بعد يوم

لكن كريستينا هي ابنة إيفون أيضاً... وتملكتها رغبة شديدة برفع النقاب عن أسرار تلك المرأة التي تزوجها مانولو قبلها. لم تجد صوراً لها في أي ركن من أركان المنزل، ولا حتى صورة زفافهما. والمثير للاهتمام أنها لم تسمع أحداً يأتي على ذكرها، وكأن الجميع نسي أنها كانت موجودة يوماً ما

لكم تود أن تستفهم عن هذا الموضوع، ولكن المكان والزمان ليسا ملائمين!

حذرت نفسها بصمت من التوقف عند صغائر الأمور. ولكن المرأة التي أنجبت كريستينا لا تندرج ضمن فئة «صغائر الأمور». كم يسعدها أن تشعر بأنها مختلفة عنها، لاسيما في ما يتعلق بعلاقتها بالطفلة. ولكن ماذا عن والد كريستينا؟، أيعقل أن تتبدل الأمور وينمو الحب بينهما؟ من جهتها بات الأمر محتماً، لكن ماذا عنه؟ ماذا لو ملّ منها بعد مرور بضعة أشهر أو سنة، وراح يبحث عن الدفء في فراش امرأة أخرى؟ كيف يسعها أن تتحمل ذلك؟

أحست برعشة على امتداد عمودها الفقري، لن يكون الأمر سهلاً أبداً. حاولت أن تقنع نفسها بأنها لا تكترث للأمر بتاتاً، لكنها لم تستطع أن تكذب على نفسها.

شعرت بيد مانولو على خصرها فاستدارت نحوه وقد أدركت أن عليهما الانصراف. بدت ملامح وجهه غامضة جداً ومن المستحيل سبر أغوارها، فلم تتكبد عناء المحاولة.

تقع شقة فالانتينا في حي روز باي الراقي، وتطل على مناظر رائعة في المرفأ. اقتصرت الدعوة على صفوة أثرياء سيدني، واتخذت تدابير أمنية مشددة للتأكد من هوية المدعوين، فوجدت ريان أن الجهد العظيم الذي بذلته فالانتينا لإنجاح السهرة مثير للاهتمام فعلاً. هل تسعى حقاً لمد يد العون لجمعية مانولو الخيرية أم للتأثير على مانولو شخصياً؟

سمعت في داخلها صوتاً يوبخها طالباً منها ألا تكون شريرة، إذ لا شك أن الجمعية ستستفيد من هذا المزاد. أما مانولو... فقد بان واضحاً لها أن فالانتينا حاولت اصطياده ولكنه لم يقع في شركها، فلِمَ لا تتخلص من تلك الشكوك التي تنغص عليها حياتها؟

ـ ها قد وصلنا يا عزيزتي!

بدت الممثلة رائعة الجمال في فستان أسود لا ظهر له، مشقوق حتى الخصر ما أظهر الكثير من مفاتنها. تساءلت ريان ما إذا كان أحدهم سيصرخ بين لحظة وأخرى: «أضواء، كاميرا، تصوير».

ـ مرحباً فالانتينا.

حياها مانولو بابتسامة ودودة. صحيح أنه لا يسمح لأحد أن يتلاعب به وهو يكره الخداع والمكر، لكن فالانتينا أكدت له أن هدفها من هذا الاحتفال جمع المال لمساعدة الجمعية الخيرية.

ـ أحضرت معك ريان، كم هذا لطيف!

لطيف؟ أرسلت لها ريان قبلة في الهواء مرّددة في سرها بأنها تلعب دوراً فحسب. وأجالت نظرها في القاعة... مشروبات على أنواعها، مقبلات مختلفة، وخدم في لباسهم الرسمي.. بدا المكان مهيأ للاعبين الأساسيين في الحفلة. ولم يمضِ وقت طويل حتى تمكنت فالانتينا من أن

تثبت للجميع أن مانولو هو النجم وهي المضيفة.

توجهت ريان نحو المجوهرات المعروضة بشكل أنيق على قماش من المخمل الأزرق الفاخر داخل خزانة زجاجية، ولاحظت أن كل قطعة من الحلي تحمل رقماً مختلفاً، وقد دوّنت الأرقام كلها على أوراق وزعت على المدعوين كما دوّن تاريخ كل منها وأصلها.

لفت انتباهها قرطان من الزمرد رصعا بالماس، فوجدتهما غاية في الروعة واستغربت في سرها أن توافق صاحبتهما على التخلي عنهما بهذه السهولة.

ـ هل أعجبك شيء ما؟

استدارت ريان عند سماعها الصوت الأجش المألوف، وأحست بحواسها تشتعل عند رؤيتها الرجل الواقف قربها.

ـ أيفترض بي أن أمسك بذراعك وأهمس في أذنك بوعود مثيرة ثم أشير إلى أغلى قطعة في الخزانة؟

ومضت عينا مانولو بوميض التسلية وقال: «شيء من هذا القبيل».

ـ أتتوقع ذلك؟

ـ وعود مثيرة؟

لعنت ريان في سرها الحمرة التي علت خديها.

ـ لا أملك مفردات كثيرة!

رفع يده إلى رقبتها يداعبها قليلاً، ثم عاد وتركها تنزلق إلى خصرها.

ـ لكنني لم أتذمر.

ـ مانولو.. أهذا مديح؟

أتراها تدرك كم بدت مثيرة وهي تنبض بالإثارة بين ذراعيه؟ أو مدى سروره وهو يشعر بجسدها يرتعش من تأثير لمساته؟ رائحتها وتجاوبها الصادق معه بعيدان عن الزيف..

ـ يستحسن أن نركز اهتمامنا على المجوهرات، فالمزاد على وشك أن

يبدأ.

أجابته ريان هامسة وهي ترى الممثلة تتوجه نحوهما: «وستطالب فالانتينا بك قريباً».

ـ مانولو.

حملت ابتسامة الممثلة شيئاً من السحر المغوي.

ـ سأسرقه منك لبعض الوقت.

لم تغفل ريان عن تلميحاتها فابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت: «اذهب واستمتع بوقتك يا حبيبي، ولا تنسَ أنه علي أن أعيدك إلى المنزل».

أمسك بيدها ورفعها إلى شفتيه: «وكيف يسعني أن أنسى ذلك!».

حملت نبرة صوته الأجش شيئاً من الإغراء، زعزع كيانها وألهب مشاعرها. إن استمر على هذا المنوال سيضع نفسه في خطر المبالغة.

رأت ريان نظرات فالانتينا المفعمة بالضغينة، نظرات ما لبثت أن غلفتها بالغموض، فأحست برجفة خفيفة في أوصالها.

تولت الممثلة افتتاح السهرة رسمياً بكلمة صغيرة، تاركة بعدها مانولو يتحدث عن هدف الجمعية الخيرية، ويشكر فالانتينا على حسن تنظيمها لهذا الحدث، ثم يسلم دفة القيادة للدلال.

كان المزاد حماسياً للغاية. وبيعت المجوهرات كلها في غضون ساعتين فقط، فبدت فالانتينا متألقة وهي تستمتع بالنجاح الباهر الذي حققته. قدم الخدم القهوة والشاي، فحاولت ريان أن تختلط بالمدعوين وقد تنبهت إلى أن مانولو انشغل عنها بالحديث مع بعض الأشخاص تاركاً لفالانتينا الفرصة لتأخذ مكانها إلى جانبه.

ـ أنت مقدمة برنامج تلفزيوني، أليس كذلك؟

التفتت ريان نحو الرجل الذي اختار أن ينضم إليها وهو يبتسم لها بتهذيب.

ـ لا تقولي لي!

www.elromancia.com

أحست وكأنها ترى الذكريات تتدافع في رأسه. كم يبدو متكلفاً في إظهار لطفه!

ـ تذكرت حياة المشاهير والأثرياء الخاصة.

كان السحر جزء من عملها وهي تجيده إلى أقصى حد.

ـ شكراً.

ـ هل أحضر لك المزيد من القهوة؟ أم لعلك تفضلين شيئاً آخر؟

بدا الرجل جذاباً، أنيقاً، ورقيقاً. فأجابته بتهذيب: «كلا».

ـ هل أتيت برفقة أحد ما؟

أحنت رأسها: «زوجي».

فدس بطاقة في يدها قائلاً: «اتصلي بي لنلتقي لاحقاً».

وفكرت ريان أن نجوم السماء أقرب إليه من ذلك.

ـ شكراً.. ولكن، لا شكراً.

ـ ألا تعرفين من أكون؟

حاولت أن تحافظ على ابتسامتها فقالت: «لِمَ لا تحاول أن تتودد إلى أحد سواي؟».

ـ من هو زوجك؟

لم تجبه ريان على الفور وكأنها تؤجل اللحظة الحاسمة.

ـ مانولو ديل غاردو.

ـ اللعنة!

خرجت الكلمة من فمه تلقائياً لكنه عاد وتمالك نفسه قائلاً: «كنا نتحدث عن...»

ـ المزاد؟

وافقها الرأي على الفور: «نعم المزاد. سأسكب المزيد من القهوة».

بدت إمارات اللهو في عينيها وهي تراه ينسحب مهزوماً.

قال لها مانولو بعد مرور دقائق قليلة: «يبدو لي أنك سحقت غرور

أحدهم».

ـ لم أفعل شيئاً سوى أنني ذكرت اسمك.

رفع يده ليبعد خصلة من شعرها عن وجهها: «أحقاً؟».

ـ كان تأثيره ساحقاً.

وقف على مسافة قريبة منها.. قريبة جداً، فشعرت فجأة بأنفاسها تنقطع ونبضها يتسارع. ما الذي يحصل هنا؟ ثوانٍ قليلة وتفقد ما تبقى من رباطة جأشها. هذا جنون.. جنون سحري..

تضرعت إلى الله في سرها كي لا تقع في هواه. صحيح أنها تكن له الاحترام والمودة وتستمتع بالحياة معه، غير أن الحب مسألة مختلفة كلياً، فالحب من طرف واحد لا يجلب إلا الهلاك. عادت تؤكد لنفسها بأنها مخطئة، مخطئة حقاً. حاولت أن تستعيد سيطرتها على نفسها، فالحب لا ينمو في فترة زمنية قصيرة إلى هذا الحد.. وتناهى إلى مسمعها صوت خبيث من داخلها يسألها «من قال لك ذلك؟».

ـ جرى المزاد على أحسن ما يرام.

نطقت بتلك الكلمات بسرعة رهيبة لاعنة نفسها في سرها على تلعثمها.

ـ أجل.

ولمس خدها بأصابعه الرقيقة، قبل أن يتابع قائلاً: «هيّا بنا ننصرف».

اشتعلت النيران في أعماقها وانتشرت ألسنتها في أنحاء جسدها كله وقد بات واضحاً لها كيف ينوي أن ينهي السهرة.

وفي تلك اللحظة شاهدت فالانتينا تتوجه نحوهما وتساءلت عما تضمره الممثلة.

ـ هل قاطعتكما؟

لكن الابتسامة التي علت شفتيها لم تنعكس في عينيها.

www.elromancia.com

- يريد أحدهم التحدث إليك.

ثم ذكرت اسم الشخص وانتظرت ليبتعد عنها لتشهر سلاحها في وجه ريان قائلة: «علينا أن نتحدث».

ها قد دقت ساعة الحسم، الساعة التي انتظرتها ريان طوال السهرة.

- لا أظن أن لدينا ما نتحدث عنه.

- لا تلعبي دور المغفلة يا عزيزتي، سنتحدث عن مانولو طبعاً.

لم تكن تلك مفاجأة لها. أيعقل أن تتحدثا عن سواه؟

أجابتها ريان بهدوء: «أفضل أن تناقشي الأمور معه».

- لا أعرف ما الذي...

- يميزني عنك؟

توقفت ريان عن الكلام وقد لوت الممثلة شفتيها استياءً، وأخذ الشرر يتطاير من عينيها.

- لن يدوم زواجكما طويلاً. أنا عرفته قبل إيفون وقبلك أنت، وسيعود إلي حتماً.

أحست ريان بأن هذه اللعبة طالت بما فيه الكفاية فقالت: «ألا تجدين بأن الوقت قد حان لتنسي أمره؟».

خشيت ريان أن تقدم الممثلة على ضربها إذ بانت مشاعرها المكبوتة وغضبها الأعمى جلياً على وجهها، ولكنها أسرعت تحجبها قائلة: «انتبهي لنفسك».

- شكراً للنصيحة!

وما إن رأت مانولو يدنو منها حتى انقلبت شخصيتها رأساً على عقب.

- عزيزي، كنت أقول لريان إنه ينبغي علينا الاحتفال بنجاح المزاد.

- نشكرك على استضافتك المزاد في منزلك.

لا شك أن مانولو سيرد لها الجميل في وقت لاحق، أما الآن فلن يقبل

دعوتها بالبقاء.

- ربما في وقت لاحق؟

ثم رماها بابتسامة ودودة وأضاف: «علينا أن نراعي مشاعر جليس الطفلة».

ولم تخف ريان إعجابها ببراعته في إنقاذ نفسه من المواقف الحرجة. هزت فالانتينا كتفيها لامبالاة وقالت: «طبعاً!».

كانت الساعة متأخرة حين وصلا إلى المنزل، فوافاهما سانتوس عند أعلى السلم ليخبرهما بأن كريستينا تنام هانئة، ثم تمنى لهما ليلة سعيدة ونزل إلى غرفته. دخلا إلى غرفة الطفلة لدقائق قليلة قبل أن يتوجها إلى جناحهما.

نزعت ريان قرطيها وحذاءها فيما كان مانولو يحل ربطة عنقه. وإذا به يقول: «لديّ شيء لك».

ثم دس يده في جيب سترته وأخرج علبة مخملية صغيرة. كانت ريان تهم بفتح سحاب فستانها، فجمدت أصابعها في مكانها وهي تراه يدنو منها.

- لكنك لم تشارك في المزاد.

- طلبت من أحدهم أن يفعل ذلك عني.

فضلت ألا تقول له شيئاً حتى لا يخالها ناكرة للجميل وأخذت منه العلبة المخملية.

- افتحيها.

شعرت بالامتنان الشديد له لأنه فكر بأن يشتري لها هدية غير آبهة بقيمتها. وشهقت مذهولة حين وقعت عيناها على القرطين الزمرديين المرصعين بالماس داخل العلبة. فنظرت إليه قائلة: «إنهما جميلان».

- ويتلاءمان مع لون عينيك.

ابتسم لها مازحاً وهو يرى الحمرة الخفيفة التي علت خديها! أتراها

تعلم بأنه يجيد قراءة مشاعرها، والإشراق والبريق في عينيها حين تفرح، والنظرات الغامضة حين تستغرق في التفكير؟ أو تحول لون عينيها إلى أخضر داكن حين تشتعل حواسها بنيران الشوق؟

ـ شكراً لك.

وتشوشت أفكارها وهو يرسم ملامح وجهها بأصابعه.

ـ على الرحب والسعة.

ترنحت ريان قليلاً وهو يحني رأسه ليعانقها عناقاً يعد بعواطف محمومة سيتشاطرانها معاً، بعد لحظات.

كان عناقه لها رقيقاً.. رقيقاً جداً، فحرك مشاعر الشوق فيها. وأرادت ريان أن تنهل من نبع عشقه أكثر فأكثر.

فقدت بين ذراعيه الإحساس بالزمان والمكان وتحولت إلى كتلة من المشاعر الملتهبة وقد بلغت لهفتها أوجها فذابت فيه روحاً وجسداً.

استلقت ريان في السرير بعد ساعات طويلة من تبادل العواطف المفعمة بالشوق، وهي تؤكد لنفسها بأن منتهى الكمال أن يتشاطر الزوجان مشاعر الحب..

أتراها تبحث عن المحال؟

لكنها قررت أن تكتفي باللحظات الجميلة التي تعيشها اليوم، من دون أن تقلق كثيراً بشأن ما يخبئه لها الغد.

١١ ـ حب أبعد من الكلمات

وجدت ريان في تنظيم وقتها خلال الأيام التالية راحة لها. ففي النهار كانت تستغل الساعات التي تنام فيها كريستينا لتساعد ماريا في الأعمال المنزلية مبدية اهتماماً بالغاً بخبرة سانتوس في الطبخ، إذ كانا يتشاوران معاً حول بعض الأطباق ويدخلان بعض التعديلات على الوصفات. علاوة على ذلك، بذلت جهدها لتخصص ساعة يومياً لإنجاز مشروع هام تعده على حاسوبها الخاص مستعينة بمجموعة من الملاحظات.

من جهته، كان مانولو يقضي النهار كله في العمل، فيغادر صباح كل يوم المنزل باكراً متجهاً إلى مكتبه في المدينة، وكلما تقدمت ساعات النهار، كانت اللهفة تستبد بهما معاً فيشتاق كل منهما إلى لقاء الآخر مساءً.

تحولت ريان بعد زواجها بمانولو إلى امرأة مختلفة كلياً عن تلك التي عرفها في البداية. امرأة مفتونة به، تغلغلت إلى أعماقه لتصبح جزءاً منه، وكأن روحيهما اندمجا وتحولا إلى واحد. أتراه يشعر بتلك العواطف الجياشة التي تشعر هي بها؟ لا شك أن جلّ ما يهمه هو المتعة الجسدية والاستقرار الأسري، فالحب المطلق هدية سامية. أتراها تطلب الكثير إن تمنت أن يمتزج هذا الشغف الذي يسود علاقتهما بالحب؟ أم أنها إنسانة عاطفية بلهاء؟ في مطلق الأحوال، إن الحياة معه ممتعة، وإن أبى أن يدخل الحب في معادلته، ستحترم ريان قراره على مضض.

وحده روجر ورسائله الصوتية والخطية التي ازدادت وتيرتها منذ

زواجها وانتقالها إلى منزلها الجديد، تنغص عليها عيشها. صحيح أنها لم تعد مضطرة للاطلاع عليها بشكل مستمر، لكنها وجدت صعوبة في التخلص من قلقها بسبب هوس روجر المرضي الذي قد يدفعه إلى الذهاب إلى أبعد من ذلك في أي لحظة.

استمر سانتوس بمراقبة الاتصالات الواردة على هاتفها الخليوي مكتفياً بتحويل اللاتق منها فحسب، ومن بينها رسالة تذكرها بارتباطها بتقديم عرض للأزياء، سيقام عند الواحدة من نهار الثلاثاء في أحد فنادق المدينة.

ـ أردت أن أتصل برئيس اللجنة لألغي الموعد.

قالت له ذلك وهي تندس قربه في الفراش، ثم تابعت تقول: «ولكن مشاغلي كانت كثيرة».

بما فيها زواجها من مانولو.

ـ سيتولى سانتوس وماريا الاعتناء بكريستينا خلال غيابك.

ثم ضمها إليه وتابع يقول: «لا أجد سبباً يمنعك من الجمع ما بين واجباتك كأم ومصالحك الخاصة».

ولامست أصابعه خدها برفق وهو يقول: «أرجو أن تكوني قد أنهيت كلامك لأنني أفكر بشيء أكثر إثارة».

وتابعت أصابعه طريقها لترسم حدود شفتيها وهو يتابع قائلاً: «مع زوجتي التي سأمضي سبع ليالٍ طويلة بعيداً عنها».

ـ وتنكب على عقد الصفقات في نيويورك وشرب الأنخاب بعدها.

كانت ريان تلهو بإثارته وتستمتع بوجوده قربها.

ـ يا لها من محنة صعبة.

كم سيشتاق إليها! سيشتاق إلى دفء جسمها الذي يرقد كل ليلة بين ذراعيه. إنها تعشقه بكل جوارحها، ولا تبخل بنفسها عليه. أتراها بدأت تعشعش تحت جلده؟ لم تفلح أي امرأة من قبل بالوصول إلى قلبه.

لم يتوانيا في تلك الليلة عن الغوص في بحر مشاعرهما الملتهبة حتى الأعماق وذلك حتى انبلاج الفجر. وعند الصباح نهض مانولو من فراشه فاستحم وارتدى ملابسه، وحمل حقائبه ثم تناول فطوره واستقل السيارة إلى المطار.

أمسكت ريان المذياع تستمع لتقديم أكثر عروض الأزياء روعة في ذلك الموسم. كانت القاعة تعج بالناس وقد بيعت بطاقات الدخول كلها، كما أبلغها رئيس اللجنة.

بعد انتهاء حفل الغداء، بدأ عرض الأزياء فصدحت الموسيقى في أرجاء المكان وراحت العارضات يتمايلن على المنصة، مرتديات أزياء هي غاية في الروعة.

كانت ريان تفضل ألا تجد فالانتينا فاسكين بين العارضات. وسمعت صوتاً داخلياً يحذرها بألا تدع وجودها ينال من ثباتها، وتتابع تقديم العرض بشكل طبيعي.

سارت الأمور على خير ما يرام، سواء لجهة العرض أو لجهة أدائها، إذ حاولت أن تبعث حيوية ونشاطاً في نفوس المدعوين مذكرة نفسها بضرورة الحفاظ على صورتها المشرقة أمامهم. وفي نهاية العرض، تلقت باقة من الورد عربون شكر على عملها وأسرعت بعدها تغادر القاعة.

ـ ريان.

خاب أملها بتفادي التحدث مع فالانتينا وهي تراها تتوجه نحوها مشعة كنور الصباح.

ـ فالانتينا.

ـ حسبتك لن تشاركي في العرض.

وفكرت ريان أنها كانت تفضل ألاّ تلتقي بها هنا، لكنها أجابتها بلطف: «لمَ حسبت ذلك؟».

اتسعت عينا الممثلة: «أليس من المفترض بك أن تلازمي الطفلة؟».

وراحت تتفحص أظافرها المقلمة بعناية قبل أن ترفع نظرها ثانية إليها لتقول: «ألم يتزوجك مانولو لهذا السبب؟».

أدركت ريان التحدي الذي يحمله سؤالها بين طياته، فأجابت: «لكنه ليس السبب الوحيد يا عزيزتي، فلا تنسي أننا ننام معاً كل ليلة».

ـ لا تحسبي نفسك مميزة يا عزيزتي، فالنساء يتهافتن لإرضائه.

ـ بمن فيهن أنت؟

لا شك أن فالانتينا تحسن إظهار ذلك الانعكاس الضبابي الرقيق في عينيها.

ـ أجل.

أجابتها ريان بهدوء يتضارب مع نيران الغيرة المتأججة في أحشائها: «إنه زوج رائع، أليس كذلك؟».

ـ أتراه يعرف كل شيء عن زوجك السابق؟

أحست بالغضب يتملكها فقالت: «أظن أن وسائل الإعلام تداولت الموضوع بشكل مفصل في تلك الحقبة».

ـ سمعت أنه يتصل بك يومياً.

لم تجد من داعٍ لتبرر نفسها، فقالت لها بجفاء: «انسي الأمر يا فالانتينا».

ـ لا بد أنك تذوقين الأمرين.

ـ هل من مغزى لحديثك هذا؟

ـ أردت أن أقول لك إنني أتوقع أن تفقدي أعصابك قريباً.

ـ وهل أنت مستعدة كي تلملمي البقايا؟

يبدو أن أظافرها تحتاج إلى إصلاح فهي لا تتوقف عن النظر إليها:

ـ يمكنني أن ألعب دور الأم يا عزيزتي، لا تنسي ذلك!

على جثتي! أحست ريان بالغثيان لمجرد تخيلها كريستينا في رعاية هذه الممثلة.

ـ إن كنت تجيدين لعب هذا الدور حقاً

ثم توقفت عن الكلام قبل أن تضيف بحذر: «هل سألت نفسك يوماً لم لم يطلب الزواج منك بدلاً مني؟».

واستدارت ريان على عقبيها، من دون أن تلتفت وراءها، وشقت طريقها عبر الرواق الطويل وصولاً إلى المدخل الرئيسي للفندق حيث طلبت من الحاجب أن يجلب لها سيارتها

ـ أتحتاجين إلى شيء ما من السوق؟

سألها سانتوس وهي ترفع طبقها وتقضمه في غيبة الصحون بعد أن أنهت تناول فطورها صباح اليوم التالي.

ـ لا، شكراً، اشتريت بعض الحاجيات وأنا في طريق العودة إلى المنزل البارحة.

وأخذت وقتها في التسوق، بغية استعادة رباطة جأشها عقب تلك المواجهة مع فالانتينا

ـ قد تتأخر ماريا قليلاً ولكن البستاني سيصل بين لحظة وأخرى

ـ حسناً

ارتشفت ريان الجرعة الأخيرة من قهوتها «سأحمم كريستينا وأضعها في السرير لتنام قليلاً».

كانت ريان تستمتع بأعمالها الروتينية اليومية، ولكنها تنبهت إلى أن فترات نوم الطفلة باتت قصيرة. إنها طفلة تنبض بالحيوية وتعشق الألعاب التي يلعبانها معاً، أما ساعة الاستحمام فقد أصبحت بالنسبة لكليتهما ساعة لهو وضحك.

وضعت ريان الطفلة في سريرها حوالى الساعة العاشرة والنصف، ثم حملت جهاز المرقاب ونزلت بخفة إلى الطابق السفلي. فسمعت طنين جزازة العشب في الجهة الخلفية من الحديقة، ما يعني أن البستاني قد وصل ورأت ماريا منهمكة بتلميع الأثاث في الصالون.

www.elromancia.com

رن جرس الهاتف فأخذت ماريا الهاتف النقال من جيبها ورحبت بالمتصل بطريقتها المعتادة، ثم راحت تتحدث بلهجتها الأم.

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

يا له من سؤال سخيف، في وقت بدا الاستياء فيه واضحاً على وجه ماريا.

ـ اتصلوا بي من المدرسة، لقد كسرت ابنتي ذراعها ونقلوها إلى المستشفى.

أجابتها ريان على الفور: «عليك أن تذهبي إليها. خذي إجازة لبقية النهار، فمانولو مسافر ولا أحد سواي في المنزل».

نظرت إليها ماريا بعينين ملؤهما الارتياب: «هل أنت واثقة؟ ولكن سانتوس ذهب للتبضع».

أجابتها ريان مطمئنة: «ولكنه سيعود قريباً. اذهبي الآن فابنتك تحتاج إليك».

ـ أفضل أن أنتظر عودة سانتوس.

ـ هل سنقف هنا ونتجادل؟

ـ كلا لن نتجادل.

نزعت ماريا مئزرها وحملت حقيبتها القماشية ثم توجهت نحو الباب الأمامي فيما أسرعت ريان تفتح لها البوابات الخارجية. وهكذا طرأ تعديل بسيط على الروتين اليومي إذ أنهت ريان تلميع الأثاث بدلاً من ماريا وأعدت وجبة خفيفة للغداء.

فاجأها طنين نظام الاتصال الداخلي، فتوجهت نحو جهاز المراقبة وضغطت على زر لتتمكن من سماع الزائر وهو يعرف عن نفسه، فرأت على الشاشة بطاقة علقت على باقة من الأزهار وسمعت صوتاً يقول: «باقة زهر لريان ديل غاردو».

أيعقل أن يرسل لها مانولو الأزهار؟

فتحت ريان الأبواب الخارجية قائلة: «يمكنك أن تتفضل إلى الباب الأمامي».

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف فتناولت الهاتف النقال وسمعت المتصل يقول: «هذا أنا سانتوس، سأتأخر نصف ساعة».

ـ لا عليك!

لم تجد داعياً لتشرح له سبب انصراف ماريا إذ دق الجرس في اللحظة نفسها وأسرعت تفتح الباب. تنبهت ريان في الحال إلى أن باقة الورد كبيرة الحجم وتغطي ملامح الشاب الذي يحملها، فحذرها حدسها منه وهو يشق طريقه إلى الداخل ويضع الباقة أرضاً مقفلاً الباب خلفه.

إنه روجر..

قررت ريان في سرها أن تحافظ على هدوئها مهما كلف الأمر.

ـ إذا انصرفت في الحال، لن أبلغ السلطات القضائية عنك.

كيف خيل إليها في يوم من الأيام أنها أغرمت بهذا الرجل؟ ربما لأنه ممثل بارع أو الأفضل بين أبناء جيله، وقد تمكن من خداعها وخداع كل فرد من أفراد عائلتها على مدى أشهر طويلة. بدا لها أكثر هزالاً من ذي قبل، وعيناه تحملان قساوة تبلغ حد الوحشية.

ـ أهذا هو منزلك الجديد؟

وجال بعينيه في أرجاء المكان متأملا الأرض الرخامية والثريا والسلم المزدوج.

ـ يبدو لي أنك ربحت الجائزة الكبرى أليس كذلك؟

لن يعود سانتوس قبل نصف ساعة.. ماذا عن البستاني؟ راحت تتمنى أن يشك بأمر الشاب الذي سلم الورد ومكث مدة طويلة.. ولكن أتراه رآه أصلاً؟

كان الهاتف النقال بحوزتها ورقم هاتف سانتوس الخليوي مدرج على زر معاودة الاتصال آلياً. ليتها تستطيع فتح الخط والضغط على الزر

الصحيح!

لا شك أن الأمر يستحق عناء المحاولة، إن تمكنت من إلهاء روجر. ولكن المشكلة الوحيدة هي طنين المفاتيح.

ـ كيف يتعامل معك؟

سمعت معدتها تصدر أصواتاً غريبة وقد أدركت مغزى سؤاله، إلا أنها ارتأت أن تماطله.

ـ من؟

ـ لا تتظاهري بالغباء.

حذّرت نفسها: فكري ملياً يا ريان ولا تتفوهي بكلمة قد يسيء فهمها أو يستخدمها لتبرير غضبه.

ـ إنه لطيف.

لوى فمه بابتسامة منحرفة:

ـ لطيف؟ سيمل منك قريباً.

ركزي على ترتيب الرقم الهاتفي، تشغيل.. الاتصال آلياً.. الرقم.. إثنان.. ولا تنسي بأنه مريض، وعليك أن تماطلي في الحديث معه.

ـ سأتدبر أمري حين يفعل.

وعادت تقول لنفسها من جديد: تضرعي إلى الله كي لا تستيقظ كريستينا، صلّي ألا تنفجر بالبكاء!

ـ كان عليك أن تجيبي على مكالماتي.

راحت تفكّر أين يمكنها أن تركله وتوقعه أرضاً، وتحسم الموقف.

ـ لو فعلت، لخرقت الأمر الصادر من المحكمة بعدم إجراء أي اتصال بيننا.

ـ جلّ ما أردته هو التحدث إليك.

لهذا السبب كان يترك لها رسائل صوتية بذيئة ويواصل حملة

إزعاجها؟

قالت له بحذر: «بما أنك خططت لهذا اللقاء...».

ومدت أصابعها لتضغط على زر التشغيل.

ـ... فلمَ لا تستغل الفرصة؟

وضغطت زر الاتصال آلياً.

ـ كلي آذان صاغية.

ومن ثم الرقم اثنان.

ـ هات ما عندك.

وفكرت: أتراه سمع الطنين؟

ـ لن يجديك نفعاً يا عزيزتي، فإطارات سيارة خادم زوجك مثقوبة كلها، والفضل يعود إلي.

ومضت عيناه بالشر وهو يقول: «ولن يعود قريباً لإنقاذك».

ولكن روجر يجهل كلياً بأن اتصالها بسانتوس سيسجل لدى وكالة الأمن، التي ستبلغ بدورها الشرطة.

كم من الوقت لديها؟ خمس دقائق؟ عشرة؟ عليك أن تتظاهري بالخوف يا ريان!

ـ يستحق الأمر عناء المحاولة.

ـ تخالين نفسك ذكية، أليس كذلك؟

وتقدم نحوها ضاحكاً وهو يراها تتراجع خطوة إلى الخلف.

ـ لم تفهمي يوماً سحر شخصيتي المزدوجة.

وأحست به يدور حولها.

ـ قضيت برفقتك أوقاتاً طيبة، كنت رقيقة، محبة، صادقة..

دس يديه في جيبي بنطلونه الجينز وتابع يقول: «لكنك كنت تثيرين قرفي».

وأدار رأسه يبصق على الأرض.

www.elromancia.com

ـ كنت عذراء بريئة، فضلت الحفاظ على طهارتك إلى أن تلتقي بالرجل المناسب، أليس كذلك؟

وعاد يدور حولها وهو يتأملها تدور معه.

ـ كنت تفتقرين إلى الخبرة.. أردتُ إنجاب طفل ولم تتمكني من ذلك.

تشنجت أعصابه وانخفض صوته وأصبح أشبه بالزمجرة. بين لحظة وأخرى سينفس عن كبته بالعنف الجسدي.

ـ أنت لا تستطيعين الإنجاب، أليس كذلك؟ ومع ذلك تركتني.

تحرك فجأة من مكانه وانفجر ضاحكاً من ردة فعلها: «لا أظن أن الضرب يسيء إلى المرأة، بل يجعلها مؤدبة».

ضاقت عيناه فتسمرت ريان في مكانها.

ـ علي أن ألقنك الآن درساً، علّك تعودين إلى رشدك.

ـ لا تفعل!

لم يبالِ بتحذيرها له، وتابع يقول: «ما كان يجدر بك أن ترحلي».

ولكم ذراعها بسبابته: «كنت زوجتي في السراء والضراء. كان يجدر بك أن تبقي.. لمَ لم تفعلي؟».

لم تجبه، فدفعها بقوة.. قوة أفقدتها توازنها..

ـ وتلك الجلبة التي أثرتها مع رجال الشرطة والمحامين، ما كان سببها؟

البوابات الخارجية.. أتراها أقفلت البوابات الخارجية؟ إن فعلت لن يتمكن أحد من الدخول. ولكن التفكير المنطقي عاد إليها تلقائياً، فمن المفترض أن يسلمها الشاب باقة الورد ويرحل في الحال، لذا لا بد أنها تركت البوابات مفتوحة.

شعرت بضربة سريعة على ضلوعها لم تكن تتوقعها. ومع أنها حاولت أن تتنحى جانباً، إلا أنه تمكن من الوصول إليها. وفي الحال سددت له ركلة، أصابت هدفها بدقة لا تصدق، فسمرته في مكانه على الأرض

وقدمها على قفصه الصدري.

لم تكن تشعر بالألم حين أخذت سماعة الهاتف وأعادت الاتصال بالرقم آلياً. جاءها صوت سانتوس مضطرباً عند الطرف الآخر من الخط: «عشر ثوانٍ.. هل أنت بخير؟».

ـ إنه..

اللعنة! ما الذي يقال في حالات مماثلة؟

ـ سيطرت على الوضع.

ـ إننا في طريقنا إليك، وصلنا أمام الباب..

وسمعت صوت مكابح ضغطت بسرعة قصوى. ثم وصلوا.. سانتوس، رجال الشرطة، رجال الإسعاف.

ـ الإسعاف!

والتفتت ريان نحو سانتوس وهي لا تصدق عينيها.

ـ إنه تدبير احترازي.

وتوالت الأحداث بسرعة، فكبل رجال الشرطة روجر وقادوه إلى الخارج، فيما تولى رجال الإسعاف فحصها، معلنين عن إصابتها برضوض في الضلوع من دون أي كسور ظاهرة، واقترحوا إخضاعها لصور بالأشعة للاطمئنان عليها أكثر. ولما أبت أن ترافقهم إلى المستشفى بدت على وجوههم إمارات الارتياب، فطمأنهم سانتوس قائلاً: «دعوا الأمر لي».

وقبل لحظات من إخضاعها للاستجواب من قبل رجال الشرطة، تمنت ريان لو أن سانتوس لم يعبر عن رأيه بتلك الطريقة. في تلك اللحظة، علا صراخ الطفلة عبر المرقاب، فنظرت إلى الضابط وهو يدون ملاحظاته وسألته: «هل انتهيت؟ علي أن أصعد لأتفقد ابنتي».

كريستينا.. أرادت أن تقول كريستينا، ولكن الضغط النفسي الذي عانت منه أوقعها في زلة لسان.

ـ هذا كل شيء. سنعود لاحقاً بعد الاطلاع على السجل الهاتفي.
ـ ريان.
ـ إنني بخير.
طمأنت ريان سانتوس الذي بدا غير مقتنع بكلامها، وتجاهلت اعتراضاته كلها وصعدت السلم متوجهة إلى غرفة الطفلة.
انضم إليها سانتوس بعد قليل وراح يتأمل ملامحها الشاحبة، ثم تقدم نحوها ليأخذ الطفلة من بين ذراعيها.
ـ أرجوك، إنني بخير.
وتمكنت من رسم ابتسامة واهية على ثغرها: «كنت أتوقع الأسوأ».
ـ اتصلت بمانولو.
أغمضت عينيها ثم فتحتهما ثانية: «كان بوسعك انتظار عودته».
ـ كلا.
لم تشأ أن تتخيل ردة فعله.
ـ سأتصل به.
عليها أن تطمئنه على صحة كريستينا وصحتها.
نظر سانتوس إلى ساعته قائلاً: «ستقلع طائرته بين لحظة وأخرى».
سألته مذهولة: «هل هو عائد إلى المنزل؟».
ـ طبعاً. أكنت تتخيلين أنه لن يفعل؟
ـ ولكنه مرتبط باجتماعات عمل...
ـ أظن أن راحتك تأتي في المرتبة الأولى.
هزت ريان رأسها: «هذا جنون!».
ـ أتعتقدين ذلك حقاً؟.
لم يسمح لها مزاجها بالتمادي في هذه الأحاديث التي يلفها الغموض. وفي تلك اللحظة أخذت كريستينا تميل يميناً وشمالاً، ووضعت معصمها الصغير في فمها.

ـ أظنها جائعة.
وأسرعت تنهض من مكانها فأحست بألم في جسمها، وحاولت ألا تجفل منه.
ـ دعني أهتم بها ثم نذهب لإجراء صور الأشعة.
رمته ريان بنظرة ساخطة: «كف عن معاملتي كزهرة رقيقة وإلا بدأت بالصراخ».
أتراها رأت حقاً بريق إعجاب في عينيه أم أنها تخيلت ذلك؟
ـ أرجوك...
ثم أضافت بلطف: «إن كنت تريد مساعدتي حقاً، حضّر لي سندويش دجاج مع السلطة، وكأساً من العصير المتعش الباردة».
ظل سانتوس واقفاً في مكانه وقال: «ربما...».
ـ ما بك لا تتحرك؟ هل تريد أن تغضبني؟
بدت نبرة صوتها قوية، ولم تغفل عن الارتعاشة التي ظهرت على فمه.
ـ معاذ الله! حسناً، سنتناول الغداء أولاً ثم نذهب إلى المستشفى.
بعد معاينتها تبين أن ثلاثة من ضلوعها مكسورة والكدمات تغطي جسمها، فوصف لها الطبيب حبوباً مسكّنة للألم، قام سانتوس بشرائها لها.
كانت كريستينا تجلس سعيدة في كرسيها وعيناها تلمعان من الإثارة، وهي تحاول أن تلتقط المشاهد والأصوات الغريبة عن سكون غرفتها. قال لها سانتوس وهما يدخلان إلى المنزل: «عليك أن ترتاحي».
ـ أعدك بأن أنام باكراً.
وحملت الطفلة إلى غرفتها في الطابق العلوي وقد حان وقت قيلولتها.
لم تستسلم كريستينا للنوم باكراً تلك الليلة، وفضلت ريان أن تلهي نفسها بقراءة قصة مثيرة بدلاً من مشاهدة التلفزيون، وذلك قبل أن تخلد إلى النوم.

www.elromancia.com

ووجدت نفسها تملأ الجاكوزي بالماء وتجلس فيه باسترخاء. أحست وكأنها في الجنة، وهي تلقي برأسها على حافة المغطس وتغمض عينيها.

ويبدو أن النعاس غلبها، وأخذت تتأرجح ما بين اليقظة والنوم حتى كادت تفقد احساسها بالمكان والزمان. وما إن عادت إلى الغرفة حتى تناهى إلى مسمعها صرير باب الغرفة، فالتفتت لتجد مانولو يقفل الباب خلفه ويسرع متقدماً نحوها.

ـ متى وصلت؟

أهذا صوتها؟ لمَ بدا لها أجش؟

ـ وصلت لتوي.

أخذت تتأمله مفتونة واحتشدت الكلمات في حلقها. أرادت أن تشرح له ما حصل، ففتحت فمها لتتكلم ولكنه ضغط عليه بإصبعه قائلاً: «اصمتي!».

ثم انحنى نحوها يعانقها بلهفة.

ـ اصمتي فحسب...

مشاعره الرقيقة جعلت الدموع تتلألأ في عينيها. بدا لها وكأن وقتاً طويلاً مضى قبل أن يرفع رأسه، فنظرت إلى تينك العينين الداكنتين وغرقت في سحرهما.

ـ كريستينا بخير.

وكم كرهت نفسها لأن صوتها كان يرتجف.

ـ وأنت يا حبيبتي؟

أيمكنها أن تتخيل ما الذي عانى منه؟ اتصال سانتوس.. وبعده عنها.. وانتظاره ساعات طويلة قبل أن يعود إلى المنزل.. ذلك كله بالإضافة إلى قلقه عليها لتحملها تهجمات روجر..

أحس بنيران الغضب تستعر في داخله لمجرد تفكيره بالأمر.

لا فائدة ترجى من القول أنه كان من الممكن تفادي ما حصل! فروجر

كان يتحين الفرص ويراقب تحركات مانولو كلها، ووجد في رحيل ماريا عن المنزل تاركة ريان لوحدها فرصته الذهبية.

ماذا يسعها القول؟ فروجر تخطى الحدود مرات عديدة وعليه أن يدفع الثمن.

ـ أشعر بالارتياح.

وتابعت تقول: «سيلقى الآن العلاج المناسب له».

أغمض مانولو عينيه، فالمحامون الذين استخدمهم سيبذلون قصارى جهدهم ليحكم على روجر بالسجن لمدة طويلة.

أما في ما يتعلق بالتدابير الأمنية... أتراها لم تكن كافية؟ من المؤكد أنه سيقوم بما ينبغي كي لا تتكرر هذه الحادثة ثانية!

أراد أن يقول لها أشياء كثيرة، وسيفعل قريباً، إلا أنه يتوق الآن إلى ضمها بين ذراعيه وشم رائحة بشرتها المنعشة.

كانت ريان قد ارتدت غلالة نومها، فمد مانولو أصابعه يبعدها برقة ليكشف عن مكان إصابتها بسبب مواجهتها مع روجر.

ـ لا تفعل!

قالت ريان له ذلك هامسة وهو يلامس الكدمة المتورمة تحت صدرها الأيسر. تحول لون عينيه إلى أسود داكن، وبدا فمه أشبه بخط رفيع من شدة التوتر.

ـ أرجوك!.

لم تتحمل غضبه الصامت.

ـ لقد انتهى كل شيء.

همس مانولو في أذنها: «كان نهارك شاقاً حبيبتي. والآن، هل تأوي إلى السرير؟».

وقادها من يدها وأبعد أغطية السرير ثم انتظرها لتندس تحتها، قبل أن يستلقي إلى جانبها.

www.elromancia.com

ومن دون أن يتفوه بكلمة، شدها إليه، ودفن رأسه في فجوة عنقها، فتركت ريان نفسها تغرق في بحر رقته، وهي تشعر وكأنها على أبواب الجنة.

كانت الأضواء الخافتة المنبعثة في أرجاء الغرفة، تضفي عليها وهجاً ناعماً، جعلها أقرب إلى عالم الخيال.

ـ أتريدين التحدث في الموضوع؟

جاء صوته أجش منخفضاً.

ـ كلا.

على الأقل ليس الآن.. ربما في الغد. وبعث خفقان قلبه القوي قرب خدها الطمأنينة في نفسها.

ـ لم يكن يجدر بك أن تعود بهذه السرعة.

ـ بلى. فالتفكير بالأذى الذي قد تتعرضين له..

بدت على وجهه إمارات الألم الشديد وهو يتابع قائلاً: «كانت الرحلة طويلة جداً، فلو وصلت في الوقت المناسب لقطعت روجر إرباً إرباً».

أحست ريان بغصة في حلقها فابتلعت ريقها بصعوبة. كانت أصابعه تداعب شعرها برقة، مثيرة فيها أحاسيس جعلتها على حافة البكاء.

ـ كنت أتوق لضمك بين ذراعي.. ولمسك.

أتخونها أذناها أم أن صوته كان مفعماً حقاً بعواطف جياشة؟

ـ كان بوسعك أن تتصل بي.

ـ لم يكن ذلك كافياً.

ما الذي يقوله؟

ـ لا يمكنك أن تتخيلي ما أصابني حين تلقيت اتصال سانتوس.

ـ ليته لم يفعل.

ـ لو لم يفعل، لما كان لحياته أي معنى.

يذكر جيداً أنه أخذ هاتفه الخليوي واتصل بربان طائرته، ثم غادر اجتماعاً هاماً متذرعاً بوقوع أمر طارىء، واتصل بسيارة أجرة تقله إلى الفندق ليوضب حقائبه ويتوجه بعدئذٍ إلى المطار. وبعد إقلاع الطائرة، اتصل بالمحامين وبسانتوس ثم أعاد ترتيب مواعيده.

ـ من الآن فصاعداً، سأرسل مندوباً عني وأوزع ساعات العمل ما بين المكتب في المدينة والمنزل.

وسيقلل رحلاته إلى الخارج. تباً! فهو يضم الآن بين ذراعيه جلّ ما يتمناه من هذه الحياة. وأخذ جسمه يرتجف وقد تنبه في تلك اللحظة، إلى أن أهم امرأة في حياته كادت تلقى حتفها على يد ذلك المعتوه.

رفعت ريان رأسها لتنظر إليه، وأحست بقلبها يتوقف عن الخفقان وهي تقرأ ملامح وجهه. عيناه... رباه! تانك العينان الجميلتان عكستا جلياً ما يعتمل في داخله من مشاعر، فأحست بنفسها على حافة جرف، أمام عاطفة عميقة عميقة جداً أنستها نفسها.

ـ مانولو!

ورفرفت بعينيها لتخفي الدموع المترقرقة فيهما فيما عاد هو يعانقها عناقاً شغوفاً، عناقاً يحمل في طياته كل ما تمتته من الرقة والحنان.

ـ أحبك!

لم يتفوه بهذه الكلمة على مسمع أي امرأة سواها. رفعت ريان يدها لتلامس خده وقالت له بصوت مرتعش:

ـ شكراً.

ـ لأنني أحبك؟

ـ لأنك منحتني نعمة سامية!

وأثبت لها مكانتها في قلبه بطريقة تتخطى حدود الكلمات وبرقة تفوق الوصف، حتى سالت الدموع غزيرة على خديها، فراح يمسحها لها بلطف.

بينما كانت ترقد، في وقت لاحق، بين ذراعيه، رفعت بصرها إليه قائلة: «إنك حياتي كلها».

ثم أضافت قائلة:

- إنك شمسي وقمري ونجومي، وكل شيء في دنياي.

لم تشأ أن تنتظر حتى الصباح لتعبر عما يختلج في قلبها من مشاعر، وتابعت تقول: «أعدت إلي الثقة وعلمتني معنى الحب».

كانت الكلمات تتدافع في حلقها:

- وافقت على الزواج بك، لأنك عرضت علي الزواج. قدمت لي الفرصة لأتقاسم معك تربية ابنتك، عوضاً عن الطفل الذي لن أتمكن من إنجابه، لذا عاهدتك على الاحترام والإخلاص طوال العمر.

وتوقفت قليلاً عن الكلام تبحث عن العبارات الملائمة.

- لم أشأ أن أقع في حبك!

- لكنك فعلت في نهاية المطاف!

ظهر طيف ابتسامة شيطانية على ثغرها.

- إنه سحرك الذي لا يقاوم.

وسمعت ضحكته الخافتة التي تنذر بأنه على وشك الانفجار ضاحكاً.

- سحري؟

إنه ليس وقت المزاح.

قالت له ريان ذلك موبخة، فأجابها على الفور: «صدقيني، إنني جدي للغاية».

بدا لها أن ساعات الليل الساحرة هي الأفضل لقول الحقيقة والافضاء بمكنونات القلب:

- ماذا عن والدة كريستينا؟

أخبرها مانولو كل شيء بالتفصيل، بدءاً من النفاق مروراً بفحص الجينات والزواج، وصولاً إلى الساعة الحاسمة.

- كريستينا ابنتي. وعلي أن أحافظ على ما هو لي.

طبعت ريان قبلة على كتفه.

واستطرد يقول بصوت أجش: «أريدك أن تعرفي أن علاقتي بفالانتينا لم تكن يوماً حميمة».

كانت هذه الكلمات البسيطة كافية لتمحو شكوكها كلها. وفجأة، علا صوت الطفلة عبر المرقاب.

- سأذهب لأرى ما بها.

نهض مانولو من السرير وارتدى عباءته، فأسرعت تحذو حذوه قائلة: «سنذهب معاً».

توقفت كريستينا عن البكاء عند دخولهما إلى الغرفة، لتضع معصمها في فمها وتبدأ الصراخ من جديد.

- سأبدل حفاضها.

وتوجه مانولو نحو الخزانة وسحب منها حفاضاً نظيفاً ثم انكب على استبداله.

- أظن أن أسنانها تنبت.

مرت ريان بأصابعها على اللثة الصغيرة فكوفئت بصرخة مدوية.

- حبيبتي المسكينة!

وتناولت المرهم الخاص بالأسنان وهي تقول: «سنرى ما إذا كان سيخفف من وجعك».

وبفضل المرهم والمصاصة، استرسلت كريستينا في النوم من جديد، فعادت ريان ومانولو إلى غرفتهما. قالت له وهي تخلع عباءتها: «ستصبح شابة في غاية الجمال».

- وستكتسب قيمك ونزاهتك.

أحست بقلبها يطير فرحاً.

- أهذا مديح؟

ـ عليك أن تعتادي على الأمر.

خلع عباءته واندس في السرير.

ـ أحبك.

بدت كلماتها رقيقة نابعة من القلب. فأحس بأنفاسه تنقطع وهو يرى الانفعال جلياً على وجهها. ومرت لحظات طويلة قبل أن يستعيد قدرته على الكلام.

ـ أعلم ذلك.

استلقت ريان قربه على السرير.

ـ أهذا كل ما لديك لتقوله؟

قالت ذلك لتحثه على الكلام، وثقتها به أقوى مما كانت تتخيل. شدها مانولو إليه تاركاً يده تتسلل خلف خصلات شعرها لتقبض على مؤخرة عنقها.

ـ أتريدين سماع الكلمات يا حبيبتي؟

كلا! كان قد أثبت لها حبه كل يوم، وكل ليلة، بنظراته ولمساته، وتسارع خفقان قلبه كلما دنت منه.

ـ الكلمات جميلة!

نظر إليها برقة وقال لها ببساطة: «أنت حياتي كلها!».

لفت ذراعيها حوله وضمته إليها، فتابع يقول: «وكل ما تمنيته، وحسبت أنني لن أحصل عليه».

أحسّت أنها على شفير البكاء، وقد أحست بالعواطف الجياشة تتدافع في أعماقها وتهدد بإفقادها السيطرة على نفسها.

ـ فأنت حبيبتي الجميلة..

وأطلق العنان لكلماته لتشعل نيران الشوق في كل شبر من جسمها بأحاسيس حارة مثيرة، فغاصت لبعض الوقت في بحر لهفته، وراحت تتأوه وهو يرفع رأسه قائلاً: «وفي القلب.. مكانك».